الموت حقيقة منسية

(رحلة البداية من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة)

إعداد

أحمد عبدالعاطى أحمد عبدالعاطى

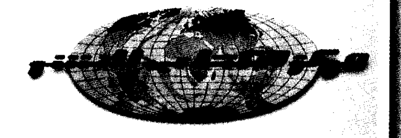
تقديم ومراجعة

د. أحمد عبده عوض

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى
٢٠٠٠



مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون : ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس : ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر : ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت : ٢٧٢٣٣٩٨


بسم الله الرحمن الرحيم





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

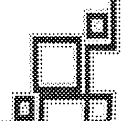
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ١٩-٢٢]

﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥].

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

صدق الله العظيم





مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يناسب جلاله، ويوافق كماله، وتؤدى به بعض حقوق نعمائه، حمداً ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه وكريم فيضانه وعطائه وصلاةً وسلاماً على خير خلقه، المبعوث بأفضلِ كتبهِ، وعلى آله وصحبه وذوى نسبه صلوات الله عليه وسلامه.

وبعد:

فقد ظللت متردداً فى أن أسطر كلمات فى التقديم لكتاب عن (الموتِ)، والذى يرتبط فى أذهاننا بمعانٍ متعددةٍ، منها الفراق والولع والكآبة والحزن والانقباض وما يصاحبه من صبرٍ واحتسابٍ، وما يعقبه من كسر واسترجاع للذكريات والأمنية بطول الأجل وتمنى عدم فقد الأحباب والأقارب. وهى كلها معان محسة ومدركة.

ولكننى عايشت موضوع الكتاب، وقد حظى بمراجعات عدة منِّى، بعضها يتصل بصحة المعلومة، وبعضها يتصل بالتوثيق، وبعضها يتصل بطريقة العرض، وبعضها يتصل باللغة والأسلوب.. الخ. وكان الكاتب مستجيباً لكل تعديل أطلبه، وكان الهدف من ذلك الحرص على تقديم مادة جيدة ومعالجة تتسم بالدقة والتكامل والترابط والجودة، بقدر ما يكون التوفيق من الله تعالى.

وقد استغرقت هذه المعايشة قرابة العامين أو يزيد قليلاً، مراجعةً وتحليلاً وتمحيصاً إلى أن أضحى الكتاب فى صورة أراها تحقق فائدة ونفعاً إن شاء الله.

ولعل هذه المعايشة واستجابة الكاتب للتعديلات وجودة الموضوع وطرافة مادته هى أبرز ما دفعنى لتقديم هذا الكتاب، حرصاً على تعريف القارىء الكريم بمضامين الكتاب ومادته ومعالجته والغاية منه.

لكنك - عزيزى القارىء- لازلت وجلاً من ارتياد حدائق المعرفة عن الموت وإنك وإن أوتيت قسطاً منها فإنك فى حاجة للمزيد، وأنك مبتعد عما يعكر صفو حياتك من حديث عن رحلة الموت، وإنك متعجب من تكرار الحديث عن الموت فى وقت نحن فى حاجة إلى ما يسرى عنا ضغط الحياة ومشكلات العصر. . وإنك متسائل -فى داخلك- وهل موضوع الموت من الجدة بحيث يحتاج لكتاب جديد، بعدما قُتل بحثاً قديماً وحديثاً.

وأنت فى حاجة لإجابة شافية لكل ما يدور فى ذهنك، وما يلج فى داخلك من تساؤلات، نساعدك فى تحديدها والرد عليها. .

الحق أن الهدف من تناول موضوع الموت يكمن فى إيقاظ الهمم، وتقوية العزائم والاستعداد للقاء الله تعالى، والتبصير والإيمان باليوم الآخر، فقضية اليوم الآخر، من أخطر قضايا الوجود بعد الألوهية، والموت هو أول رحلة للآخرة، وتعقبه رحلات طوال، يسيرة وهينة على من يسر الله له عمل الصالحات، فى الدنيا، وشاقة ومهلكة لمن أعرض عن ذكر الله تعالى.

هذه القضية هى محور عمل المسلم ومحور فكره وموجهة لسلوكه وعمله، فالمؤمن هدفه الآخرة

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾ [**الإسراء**: ١٩]

والآخرة هى الهدف، والدنيا طريق لهذا الهدف، وعلى قدر علم المرء يتأكد لديه أن الدنيا لاتساوى شيئاً بالنسبة للآخرة، فهى موصلة لهدف أعظم، وبذا فإن استيلاء عظمة الآخرة على قلبه يجعل كل شىء بالنسبة له فانياً **﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾** [**القصص**: ٨٣].

وإذا كان الموت أول تجربة فى رحلة الآخرة، فإن المؤمن قد أعد زاده لهذه الرحلة، فسفره طويل، ولابد أنه أعد سفينة جيدة فالبحر عميق وأمواجه جارفة، ولابد أنه أخلص العمل فالعقبة كئود. .

لكنك الآن تتساءل: أوليس حديث القرآن الكريم والأحاديث النبوية عن الموت والآخرة يكفى عما عداها من كتابات أخرى؟.

نقول: لايجد القارىء للقرآن الكريم كثير صعوبة فى تفهم النهج القرآنى فى التهيئة لليوم الآخر، بداية تجربة الموت ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

ومروراً برحلة القبر ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وما يعتريها من نعيم أو عذاب ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

وذلك بارتياد عالم آخر وحياة جديدة هى حياة البرزخ ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. وهى أشبه بفترة انتظار، وسياحة فى آفاق الجنان أو اقتياد إلى الدرك الأسفل للنيران، ويتلوها أمر الله تعالى بالنفخ فى الصور ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. ثم يكون مشهداً مهيباً فى الحشر العظيم ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]. ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]. وهنا يأتى الحساب ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٨، ٩]. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وما يعقبه من النعيم والإقامة الدائمة فى الجنة لأهل السعادة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أو العذاب والخلود فى الجحيم لأهل الشقاء ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]. وما يلى ذلك من مشاهد إيمانية مثل رؤية الله

تعالى من قبل أهل الجنة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. ومثل شفاعة الرسول الكريم ﷺ فى أمته قبل ذلك. ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. ومثل التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]. ومثل التخاصم بين أهل النار ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨]. ومثل لقاء الملائكة لأهل الجنة بالسلام ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]. ومثل رجاء أهل النار التخفيف ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وأنت ترى الزخم القرآنى، وهذا الثراء العظيم فى عرض بعض مشاهد الرحلة للآخرة ولعل الأمر يحتاج لدراسة مستقلة لدراسة الألفاظ القرآنية المتصلة بالموت والقبر والنفخ والحشر والموقف والحساب والميزان والساعة والجنة والنار واليوم الآخر والنعيم والعذاب، فمشاهد الآخرة متنوعة فى القرآن الكريم، ومتعددة فى سياق عرضها، فلا تكاد تخلو سورة قرآنية من ذكر أو إشارة أو تلميح لبعض هذه المشاهد التى تثرى وجداننا، ونعيش من خلالها خبرة آتية بيقين الحاضر وبالإيمان بالغيب، والتصديق بكل ماتقدم ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]. وهذه كلها مواقف تأمل وعظة وهداية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]

أقول هذا الثراء القرآنى، وشبيهه فى الأحاديث النبوية، فى الحديث عن الرحلة للآخرة يحتاج منا لبعض تأمل وكثير استقراء وتطويف ببعض المعانى وولوج فى أعماق التفاسير، ومن هنا تكون هذه المعالجة لقضية الموت، عروجاً فى سياحات التفكر، واستلهام العبر، والاتعاظ والتفكر..

ولا أحسبك تختلف معى فى إقرار حقيقة مهمة مؤداها: أن قناعتنا بدنو الأجل وقرب لقاء الله يجعلنا أكثر إقبالاً على الله، وأقل تصارعاً على الدنيا،

وأقرب للسلوكيات الإيمانية الرشيدة، وهذا مانرصده من خلال قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]. ومن خلال قوله سبحانه ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وشعور المسلم بأنه ضيف أو كالطيف يجعل عمله متجهاً لله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقد علمتنا أحاديث الرسول الكريم ﷺ أن الموت أقرب إلى أحدكم من شراك نعليه وأنه حق على المسلم أن يكتب وصيته، ولذا يكون الحث على المبادرة بالأعمال الصالحة واغتنام الصحة قبل المرض، والشباب قبل الهرم، والفراغ قبل الشغل.

وهنا نؤكد على ضرورة أن يحيا المسلم ذاكراً للموت، ومستعداً له، فنسيان الموت أول طريق الانحراف يقول الحق سبحانه ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]. ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]. والإنسان بين أجل ينتظره وبين أمل يحدده، فقد خط النبى ﷺ خطوطاً، فقال: «هذا الإنسان وهذا أجل محيط به، وهذا أمله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب».

وقد جمعت هذه الخطوط فى قول الله تعالى منكراً ومحذراً ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

فتذكر الموت والتأهب له يجعل المسلم مكتسباً لأخلاق عظيمة، أبرزها التوبة والإنابة والمراقبة والمحاسبة والورع والزهد والصبر والشكر والرجاء والخوف والتوكل والرضا والحياء والتواضع والوقار وطيب الكلام وحفظ اللسان والمجاهدة والصدق والاستقامة والطاعة.

ولعل الأمر بالإكثار من ذكر الموت، والاستعداد للموت والعمل لما بعده، فذلك طريق لتمحيص الذنوب، والزهد فى الدنيا، والخلوص للدار الآخرة

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص:٤٦]. وهو سبيل لمحبة الله كما أوضح الحديث النبوى **«ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله»** وهو تأكيد لمعنى الحياء الحقيقى الذى أكده الحديث الشريف (**«ويتذكر الموت والبلى»** وليترك زينة الدنيا) وتأكيد لمعنى الزهد (الذى قدره الحديث الشريف «من لم ينس القبر والبلى».

ونقرر أن ذكر الموت ليس استجلاباً للهموم والأحزان ولكنه ترقيق للقلوب إذا قست، وتوجيهاً لها إذا غفلت، وإيقاظاً لها إذا ماتت. كما أنه توسعة للرزق، كما يقول عمر رضى الله عنه لعنبسة بن سعيد (أكثر ذكر الموت، فإنك لاتكون فى ضيق من أمرك ومعيشتك فتذكر الموت إلا اتسع ذلك عليك).

وليس بخاف هذه العلاقة الوثيقة بين قضية الإيمان، وقضية الآخرة والتجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت، قبل النزول، كلها مضامين إيمانية، ولعل إجابة حارثة رضى الله عنه، وقد سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه فيها الربط الوثيق بين الإيمان الصحيح وبين العمل للآخرة يقول: «عزفت نفسى عن الدنيا، فاستوى عندى ذهبها ومدرها، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون، وكأنى أرى عرش ربى بارزاً، من أجل ذلك سهرت ليلى، وأظمأت نهارى فقال رسول الله: «عبد نور الله قلبه».

لأجل كل المعانى نصحبك فى سياحة إيمانية إلى عالم الآخرة، وفى رحلتك معنا لابد أن نذكر لك: أن قضية الموت عرضت لها مؤلفات تراثية جليلة ومراجع أشبه بالموسوعات لدى الإمام القرطبى والإمام ابن قيم الجوزية والإمام ابن تيمية والإمام ابن كثير وغيرهم وقد كتبوا مؤلفات متميزة فى هذا الصدد.. كما أن جهد المعاصرين لم يكن بالقليل فى رصد مشاهد القيامة وتحليلها، وبسط القول فى القبر وعذابه ونعيمه، وفى الجانب العقائدى المتصل باليوم الآخر.. إلى غير ذلك مما أثريت به المكتبة الإسلامية.

ويأتى هذا الكتاب فى إطار جهد متآلف بين القديم والحديث، آخذاً قوامه من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ونهج السلف ورؤية العلماء المخلصين المستقيمين، بعيداً عن الآراء السقيمة، أو التعصب فى فهم النصوص، والتطفل عن كل نتاجهم.

ولابد أنك الآن وأنت فى صدد إعدادك لهذه السياحة الإيمانية نقدم لك برنامج رحلتك معنا، والتى نبدأها من دار الإيمان بالتوقف عند أثر ذكر الموت فى تقوى الله ثم العروج إلى سكرات الموت، وساعة الاحتضار **وهذا ما يعرض له الفصل الأول..**

ثم نطير إلى رحاب صدر الإسلام لنرى كيف كانت وفاته ﷺ ووفاة أبى بكرالصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعمر ابن عبد العزيز رضى الله عنهم جميعاً، **وهذا ما يتناوله الفصل الثانى**.

وعوداً من صدر الإسلام إلى أول منازل الآخرة حيث القبر بين النعيم والعذاب وحكم زيارة القبور والصلاة عليها وحيث الأعمال التى تنفع الميت، **وهذا ما يعرض له فى الفصل الثالث**.

ثم نعرج للساعة وأحداثها، والنفخ فى الصور والحشر والحساب، ونعدد بعض أسماء يوم القيامة، **وهذا ما يفصله الفصل الرابع**.

ويأتى طيب المقام فى الجنة دار الخلد والنعيم، وشفاعة الرسول الكريم ﷺ.. ثم تقديم الوجه الآخر للنعيم فى الجنة وهو العذاب والخلود فى جهنم وبئس المصير، **وهذا ما يتناوله الفصل الخامس**..

وختاماً فإن الأمل معقود فى أن تعود من هذه الرحلة بكثير زاد وعظيم إفادة وحسن استقامة وهداية.

والله أسأل أن ينفعنا بالعلم النافع، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون هذا العمل فى ميزان حسناتنا يوم القيامة.

وأن رافق هذا العمل بعض التوفيق فهذا من هداية الله وعونه وإن شابه كثير هنات فهذا من أنفسنا، وبقدر حسن النوايا ونبل المقاصد يكون الجزاء.. والحمد لله رب العالمين..

د/ أحمد عبده عوض

إلى هـــؤلاء:

إلى كل حاكم تولى أمر المسلمين ولم يحكم بما أنزل الله، ولم يأتمر بقوله تبارك وتعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

إلى كل شاب انحرف عن الصراط المستقيم وجرى وراء شهواته ولم ينشأ فى طاعة الله ولم يجتهد فى عبادته.

إلى كل شيخ أبيّض شعره واحدودب ظهره ومازال بعيداً عن منهج الله تعالى.

إلى كل فنان وفنانة لعبوا الأدوار المخلة للآداب الخادشة للحياء أقول لهم الحقوا بركب الفنانات التائبات واسمعوا ما قالوه لأنهم تجرعوا مرارة الفن وذاقوا حلاوة الإيمان والسعادة الحقيقية ووصفوا سعادتهم قبل ذلك بأنها سعادة زائفة سرعان ما تزول.

إلى كل منكرى البعث الذين قالوا ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وتجاهلوا قوله تبارك وتعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

إلى كل عاص ارتكب المعاصى كلها، ولم يندم على فعلها، وتأخر فى العودة الى الله.

إلى كل هؤلاء أقول لهم تذكروا دائماً نهاية المطاف وخاتمة الأمر مهما كنت حاكماً أو محكوماً، عزيزاً أو ذليلاً، غنياً أو فقيراً، فلابد وأن ينزل بك هادم اللذات ومفرق الجماعات، وتتحول إلى جثة هامدة لاتستطيع منعاً ولا دفعاً، وبعد ذلك تحمل على أعناق الأحباب إلى حفرة لا فراش فيها.

ولكن أين مالك..؟ بل أين سلطانك..؟ أين قوتك.. أين أولادك؟ أين حاشيتك؟ كل هؤلاء كانوا فى دار الدنيا ولكن الحُفرة شعارها ونهجها قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

الدافع للكتابة فى هذا الموضوع:

هو ما حدث لى فيما لا يزيد عن ثلاثة أشهر، فقدت خلالها أعز الناس عندى فقدت شقيقتى الوحيدة وهى فى زهرة العمر، وفى ريعان الصبا، كانت عبارة عن ريحانة أشمها، تركتها وردة فياحة الرائحة وذهبت لعملى لأعود وأجدها جثة هامدة ليس لها يد تبطش ولا أذن تسمع، وجدتها قد تجرعت مرارة الموت، وتركتنى أتجرع مرارة الفراق ولكن هذا قدر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله! كتب البقاء على نفسه والفناء على العباد وبموتها اتضحت لى أمور جمة، وفهمت حقيقة الدنيا، وبدأت أعيد كشف حساباتى مع الله لأن مهما تجاهلنا أو تناسينا أو هربنا فلابد من لقاء الله، ولابد لنا من أن نشرب كأس الموت كما قال الشاعر:

كل ابن انثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول

ومن الطريف المبكى أن أعز أصدقائى وأقرب أحبائى هو الذى أخرجنى من أحزانى، وكلما تذكرت فراق أختى لأبكيها ذكرنى صاحبى هذا بقول الله عز وجل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقولة أيضا: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨]. وقوله أيضا: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وما هى إلا أيام معدودة وفى أحد أيام شهر رمضان المكرم، وكان يوم الأحد، خرجنا سويا نمشى على الأقدام أنا وصديقى هذا الذى كان يذكرنى حقيقة الموت عندما كنت أبكى لفراق أختى، وأخذنا نقترب من القدر المحتوم وقلت لصاحبى هذا هيا نركب، ولكنه أصر على المشى، وأخذنا رويداً رويداً نسير إلى مكان لا يمكن أن ينسى من ذاكرتى، وفجأة تأتى سيارة من الخلف لتقتحم علينا طريقنا وتفرقنا هذا عن يمينها وهذا عن يسارها وهذا أمامها ويسقط قرة عينى أمامى على الأرض وأصرخ وأنادى ولا مجيب، وراحت الريحانة التى كنت أركن إليها وقت الأحزان، الدماء قد تجمدت والعينان قد شخصت واليد لاتتحرك والنفس قد انقطع وهكذا غربت شمس أعز أحبابى العارف بربه، والدليل على ذلك قبل موته بلحظات بسيطة أخذت أتكلم معه وأنادى عليه وأطمئنه، وأنا والله أشد ألماً منه فنظر فى وجهى وقال: آخر كلمات فى حياته: «يارب» ثم نظر فى وجهى وكأنه يوصينى وقال أحمد. أحمد، ثم سكت. أوصانى حياً بكلماته وأوصانى ميتاً بنظراته، وصعدت الروح إلى خالقها، صائمة قارئة لكتاب ربها، ولذلك أردت أن أسطر هذه السطور عن النهاية المحتومة التى مهما طال بنا الأمل لابد من لقياها.

وأخيراً.. أرجو من الله العلى القدير أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه ويجعله فى ميزان حسناتنا يوم القيامة.

وأهدى ثواب هذا العمل إلى أخى الشهيد عماد محمد يوسف سليمان وإلى شقيقتى الحبيبة سائلاً المولى عز وجل أن يجمعنا وإياهما فى دار خلده وفى مستقر رحمته وإنى لأحس ذلك فى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

وإلى كل روح طاهرة عبدت ربها تبارك وتعالى ثم وافتها المنية.. كما أهدى هذا العمل إلى من راعاه ونماه وتولاه، أستاذى الدكتور/ أحمد عبده عوض- سائلاً الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص فى أقوالنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا، فاللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك عما لانعلمه.. وصلى اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف: أحمد عبد العاطى أحمد

الفصل الأول

ذكر الموت وسكراته والاحتضار

المبحث الأول :

أثر ذكر الموت في تقوى الله

المبحث الثاني :

سكرات الموت

المبحث الثالث :

ساعة الاحتضار

ذكر الموت وسكراته والاحتضار

أولاً: أثر ذكر الموت فى تقوى الله:

يقول الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]

يقول الرسول ﷺ : «أكثروا من ذكر هادم اللذات». أى نغصوا بذكر الموت اللذات والشهوات حتى ينقطع ركونكم إليها. ولشدة تأثير ذكر الموت يشير النبى ﷺ إلى تأثيره على الحيوانات لو علمته فيقول الحديث الشريف «لو تعلم البهائم من الموت مايعلم ابن آدم ما أكلتم منها سميناً».

فما بالكم بنا يا معشر الإنس وقد رزقنا الله عقلاً وزودنا بما لم يزود به البهائم ومع ذلك لا نذكر الموت إلا قليلاً وإذا تذكرناه فإنه لا يثمر شيئاً لأن من يذكره لا يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا يفلح ولايغنى ولايسمن من جوع فالطريق السليم لذكر الموت أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء؛ إلا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه. فعند ذكرنا للموت لابد وأن يقل فرحنا وسرورنا وتنكسر قلوبنا ونتذكر الذين رحلوا قبلنا أين هم الآن هم تحت أطباق التراب.

ونحن الآن نقف بين يدى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أفزعها الموت فهرولت تسأل النبى ﷺ يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة، لأن ذكر الموت يجعلك تقبل على الله وتتجافى عن دار الغرور وتستعد للآخرة ومافيها من أهوال عظيمة عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أوصاه فقال: «زر القبور تذكر بها الآخرة. واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير»[1].

---

(١) رواه الحاكم.

وتذكرة الموت تأتى بالذهاب إلى القبور والمرور عليها والنظر إليها.

قال أنس: مر رجل بالمقابر فقال: اللهم رب هذه الأرواح الفانية والعظام النخرة والتى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحاً [1] منك وسلاماً منا.

ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه. فوقف عند رأسه وأنشد يقول:

مالى مررت على القبور مسلماً ... قبر الحبيب فلم يرد جوابى
أحبيب مالك لاتجيب منادياً ... أملك بعدى خلة الأحباب

قال: فهتف بى رجل من جانب القبر يقول لى:

قال: الحبيب وكيف لى بجواركم ... وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى فنسيتكم ... وحجبت عن أهلى وأصحابى
وتمزقت تلك الجلود صفائحاً ... يا طالما لبست رفيع ثياب
وتساقطت تلك الأنامل من يدى ... ما كان أحسنها لخط كتابى
وتساقطت تلك الثنايا يا لؤلؤة ... ما كان أحسنها لرد جواب
وتساقطت تلك العيون على الثرى ... يا طالما نظرت بهم أحبابى

وقال مالك بن دينار رضى الله عنه:

أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكار والتفكير فى الموت والاعتبار فتمنيت من يخبرنى عنهم خيراً أو يقص لى من آثارهم.. فقلت شعراً:

أتيت القبور فناديتها ... فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه ... وأين العزيز ما افتخر

(١) روحاً: رحمة.

فرأيت رجلاً بين القبور يرد على بقوله:

تفانوا جميعاً فلا مخبر ... وماتوا جميعاً وأضحوا عبر
وساروا إلى ملك عادل ... عزيز مطاع إذا ما أمر
فيا سائلى عن أناس مضوا ... أمالك فيما مضى معتبر

فرجعت أبكى الدموع الغزار، واعتبرت بذلك أى اعتبار[١].

وقال أبوالدرداء رضى الله عنه:

إذا ذكرت الموتى فعُد نفسك كأحدهم. وقال ابن مسعود رضى الله عنه السعيد من وُعظّ بغيره.

وعمر بن عبد العزيز: ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تضعونه فى صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب.

واعلم يا من تحرص على النجاة من الدنيا والفوز برضوان الله العلى القدير أن ذكر الموت لكى يُجدد لابد من عيادة المرضى وزيارة القبور. نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال: والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته[٢].

وقال إبراهيم التيمى: شيئان قطعا عنى لذة الدنيا: ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عز وجل.

وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة. هذا هو حال المقربين إلى الله يبكون حتى تبتل لحاهم.

(١) طه عبد الله عفيفى «وصايا الرسول» المجلد الأول - دار الاعتصام ص٧١.
(٢) أبو حامد الغزالى - إحياء علوم الدين - دار الريان - الجزء الرابع ص٤٨٠.

وها هى امرأة اشتكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك. ففعلت فرق قلبها.

وكان عيسى عليه السلام إذا ذُكر الموت والقيامة عنده يقطر جلده دماً.

انظروا يا أصحاب العقول والقلوب المؤمنة إلى أحوال الصالحين والأنبياء عندما يذكرون الموت ها هو نبى الله داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه.

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه.

وعن ابن عمر أنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبى ﷺ فقال يا رسول الله أى المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خلقاً. قال فأى المؤمنين أكيس؟ قال أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس.

وروى الترمذى عن شداد بن أوس قال: قال النبى ﷺ الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت. والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله.

يقول القرطبى رحمه الله: قال علماؤنا رحمة الله عليهم. قوله عليه السلام «اكثروا ذكر هادم اللذات» الموت رغم أنه كلام مختصر وجيز إلا أنه قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة. فإن من ذَكَرَ الموتَ حقيقةَ ذكْرِه نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ(١).

---

(١) القرطبى - التذكرة - القاهرة - دار الريان - ١٩٩١م - ص٩.

وفى قوله عليه الصلاة والسلام «أكثروا ذكر هادم اللذات» مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. ما يكفى السامع له من الموعظة والتذكر وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

لاشىء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولَتْ عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذا تجرى الرياح له	والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التى كانت لعزتها	من كل أربٍ إليها وافد يفدُ؟
حوض هنالك مورود بلا كَذِبٍ	لابدّ من ورده يوماً كما وردوا

ولأن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن مقدور ولا مرض محدد كى يكون المرء مستعداً للقاء الله فى كل لحظة. لذا فذكر الموت هو تجربة تأملية تربط المسلم بلقاء الله.

وجاء أن أحد الصالحين كان ينادى بليل على سور المدينة: الرحيل. الرحيل. فلما توفى فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه. فقيل إنه قد مات.

فقال أمير المدينة:

مازال يلهج بالرحيل وذكره	حتى أناخَ ببابه الجمالُ
فأصابه متيقظاً متشمِّراً	ذا أهبةٍ لم تلهه الأمالُ

وقال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب، ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

فتفكر أخى المسلم فى الموت وسكراته فالموت حقيقة موجودة تمر علينا كل لحظة ولا حول ولا قوة لنا إلا بالله وعلينا أن نقول كفى بالموت فاجعاً وللقلوب هاتكاً وللعيون مبكياً وللجماعات مفرقاً وللذات هادماً وللأمنيات

قاطعاً، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك وانتقالك من موضعك وإذا نقلت من سعة إلى ضيق وخانك الصاحب والرفيق، وغطوك من بعد الحرير بتراب وطين فيا جامع المال تأمل وتدبر ليس لك من الأموال إلا الأكفان ولذلك قال الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تُلوى فيهما وحنوط

وقال آخر:

هى القناعة لا تبغى بها بدلا ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظرْ لمن مَلكَ الدُّنيا بأجمعها ... هل راحَ منها بغير القُطن والكَفَنِ؟

* * *

ثانيا: سكرات الموت:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، وقال ابن كثير فى تفسير هذه الآية: وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أى كشف لك عن اليقين الذى كنت تمترى فيه ﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أى هذا هو الذى كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص، وها هو أبوبكر الصديق لما ثقُل رضى الله عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت.

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتى   إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال: رضى الله عنه ليس كذلك ولكن قولى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

وروى عن النبى ﷺ أن العبد الصالح ليعالج الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة. وقال عيسى بن مريم يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة يعنى سكرة الموت.

ويقول الله تعالى مخبراً عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٢٣ - ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

أى فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم، وفى الحديث «أن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون شيئاً فشيئاً حتى ينتهى بها إلى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت»[1].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت فى الآيات السابقة، فاعلم إنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وكان عمر بن الخطاب يقول والله لولا الدنيا وما فيها لافتديت نفسى من هو المطلع حتى قيل إن الموت لأشد من ضرب السيوف، ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض. لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح. وإنما ينقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه فهد كل قوة وضعف كل جارحة، فلم يترك له قوة الاستعانة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه. وأما الأطراف فقد ضعفها وإن كان فيه قوة فهى نزاع وغرغرة.

وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ كانت بين يديه ركوة أو عليه فيها ماء، فجعل يدخل يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده.

نخرج من هذا الحديث أن سكرات الموت عظيمة وأهوالها شديدة والتخفيف من هول السكرات إنما يكون بالدعاء والأعمال الصالحة والتقرب إلى الله صباح مساء فى السر والعلانية.

واعلم رحمنا الله وإياك أخا الإسلام أن دواهى الموت ثلاث:

الأولى: تتمثل فى شدة النزاع والألم الذى لو وضع على جبل لزلزل كيانه.

---

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧م. ص٢٤٠.

والثانية: تتمثل فى مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الخوف على القلب منه؛ فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته.

فقد روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت: هل تستطيع أن ترينى صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر؟ قال: لاتطيق ذلك قال بلى قال: فاعرض عنى. فأعرض عنه. ثم التفت إليه فإذا هو برجل أسود قاتم الشعر، متدنى الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان، فغشى على إبراهيم عليه السلام. ثم أفاق وقد عاد الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه.

أما الداهية الثالثة: فهى مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة، ولابد لهم وأن يسمعوا ملك الموت وهو يبشرهم إما بالجنة وإما بالنار حيث قال النبى ﷺ «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره؟ وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار».

وفى نهاية حديثنا عن سكرات الموت أذكركم وأذكر نفسى المقصرة أننا لابد وأن نذوق مرارة الموت وسكراته لأننا لسنا خيراً من الأنبياء لأن الأمر قد أصابهم لكى يثبت الله لنا بالطريقة العملية مقدار ألم الموت وأنه باطن وقد يطلع عليه الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً ويرى سهولة خروج روحه ولكن قطع الخالق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت وإصابة الأنبياء بسكرات الموت هى من تمام الابتلاء فى الدنيا.

اعلم أخا الإسلام أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع وسكرات الموت هى الكأس التى طعمها أكره وأبشع مما نتصور وقاطعة للراحات والأجلب للكريهات فاللهم هون علينا سكرات الموت.

* * *

ثالثاً: ساعة الاحتضار:

الاحتضار هو الوقت الذى تخرج فيه الروح أو الإشراف على الموت. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أخذ يبلل يده من رقعة بها ماء حين موته ويقول: «إن للموت لسكرات».

احتضار المؤمن:

قال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٩١].

إنها لحظات يتهيأ فيها الإنسان للقاء الله وهى لحظات هانئة للمؤمن الذى يفرح بلقاء الله تعالى فيفرح الله بلقائه.

فالناس عند الاحتضار ثلاثة: إماْ أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين وأما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهوى الجاهلين بأمر الله فاعلم أن المحتضر إن كان من المقربين وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات فهؤلاء تبشرهم الملائكة بذلك عند الموت، وتقول أيتها الروح الطيبة فى الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجى إلى روح وريحان ورب غير غضبان.

وعن النبى ﷺ يقول: «يقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى فلان فائتنى به فإنه قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، ائتنى فلأريحه، - قال- فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان -أصل الريحانة واحد- وفى رأسها عشرون لوناً لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك.

وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم سلام لك أى لا بأس عليك أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين. وقيل تسلم عليه الملائكة إكراماً له وقيل سلمت أيها العبد مما تكره. روى عن النبى ﷺ «ارقبوا الميت عند ثلاث: إذا رشح جبينه ودمعت عيناه، ويبست شفتاه فهى من رحمة الله قد نزلت به»[1].

* * *

(١) أخرجه الترمذى.

نماذج لاحتضار أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والأمراء والصالحين:

سنتوقف الآن عند احتضار بعض أصحاب النبى ﷺ فى إجلال واحترام وهم يعالجون سكرات الموت فى ساعة الاحتضار ماذا كان حالهم وهم الصفوة المختارة.

ها هو **سعد بن أبى وقاص** -الأسد فى براثنه- فى يوم من أيام العام الرابع والخمسين للهجرة وقد جاوز سعد بن أبى وقاص سن الثمانين كان يتهيأ للقاء الله تعالى وها نحن نقف مع ولده ليروى لنا آخر لحظات فى حياة والده فيقول: كأن رأس أبى فى حجرى وهو يقضى؛ فبكيت فقال: ما يبكيك يابنى؟.. إن الله لايعذبنى أبدا.. وإنى من أهل الجنة.

إن صلابة إيمانه لايوهنها حتى رهبة الموت وزلزاله. ولقد بشره الرسول ﷺ وهو مؤمن بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام أوثق إيمان.. وإذن ففيم الخوف...؟

بيد أنه يريد أن يلقى الله وهو يحمل أروع وأجمل تذكار جمعه بدينه ووصله برسوله ومن ثم فقد أشار إلى خزانته ففتوحها، ثم أخرجوا منها رداءً قديماً قد بُلى وأخلق. ثم أمر أهله أن يكفنوه فيه قائلاً:

«لقد لقيت المشركين فيه يوم بدر ولقد ادخرته لهذا اليوم»[1] وهكذا غربت شمس سعد بن أبى وقاص وحُمل الأسد على أعناق الرجال إلى المدينة.

وهذا هو جثمان آخر المهاجرين. نترك الآن سعد بن أبى وقاص ينعم فى جنة ربه تبارك وتعالى ونعرج إلى صحابى آخر هذا الصحابى الذى اهتز عرشُ الرحمن لموته كان أعلم الصحابة بالحلال والحرام كما قال عنه النبى ﷺ وكان شبيهاً بعمر بن الخطاب فى استنارة عقله وشجاعته وذكائه، لعلكم الآن قد عرفتم هذا الصحابى، **إنه سعد بن معاذ**؛ إنه الآن مسجى مغطى فى لحظاته الأخيرة ينطق بكلمات تكشف عن مؤمن عظيم، فقد كان ينظر فى

(١) خالد محمد خالد: رجال حول الرسول، دار الريان، ص ١٣٨.

السماء ويقول مناجياً ربه الرحيم: اللهم إننى كنت أخافك لكننى اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ونيل المزيد من العلم والإيمان والطاعة، وبسط يمينه كأنه يصافح الموت وراح فى غيبوبته يقول: «مرحباً بالموت حبيب جاء على فاقة وسافر إلى ربه».

ونقرع الآن بيت صحابى من أصحاب النبى كان عدو النفاق، صديق الوضوح إن الذى رباه هو النبى ﷺ وكان أمين سر النبى ﷺ ولكن لابد لشمس الحياة من الغروب، ولابد لملك الموت أن ينشب أظفاره، ففى ذات يوم من أيام العام الهجرى السادس والثلاثين.. دعى للقاء الله وإذ هو يتهيأ للرحلة الأخيرة، دخل عليه بعض أصحابه. فسألهم أجئتم معكم بأكفان...؟ قالوا نعم. قال أرونيها، فلما رآها، وجدها جديدة فارهة.. فارتسمت على شفتيه آخر بسماته الساخرة وقال لهم: ما هذا لى بكفن إنما يكفينى لفافتان بيضاوان ليس معهما قميص فإنى لن أترك فى القبر إلا قليلاً حتى أبدل خيراً منهما.. أو شراً منهما.. ثم رحب بالموت وعرجت الروح إلى خالقها لتنعم فى رياض الجنة. أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب. انه **أبوعبيده بن الجراح** رضى الله عنه.

حضرت **معاوية بن أبى سفيان** الوفاة قال: أقعدونى. فأُقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط.. إلا كان ذلك وغصن الشباب نضر ريان.. وبكى حتى علا بكاؤه وقال: يارب ارحم الشيخ العاصى والقلب القاسى.. اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحِلمك على من لايرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك. وقال يا ليتنى كنت رجلاً من قريش ولم آل من هذا الأمر شيئاً.

وجاء فى كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف للأبشيهى. أن معاوية عندما مرض المرض الذى مات فيه وفد إليه الناس يعودونه فقال لأهله مَهدِوا

لى فراشاً، واسندونى، وأوسعوا رأسى وهاناً ثم اكحلوا عينى بالأثمد ثم أئذنوا للناس يدخلوا ويسلموا علىّ قياماً، ولا تجلسوا عندى أحداً ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول:

وتجلدى للشامتين أريهم ... أنى لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لاتنفع

وقيل لما دنا منه الموت قال:

هو الموت لامنجى من الموت والذى ... نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

فهذا يا أخا الإسلام كاتب الوحى لرسول الله ﷺ يعيش فى صراع عجيب مع لحظاته الأخيرة ويتضرع إلى ربه راجياً الرحمة والغفران ونترك معاوية بن أبى سفيان عليه سحائب الرحمة ونذهب إلى **عبد الملك بن مروان** عندما حضرته الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوى ثوباً بيده ثم يضرب به المغسلة. فقال عبد الملك: ليتنى كنت غسالاً آكل من كسب يدى يوماً بيوم ولم آل من أمر الدنيا شيئاً فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه. وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه.

وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدنى كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾ [**الأنعام**: ٩٤].

وها هو **عمر بن عبد العزيز** خامس الخلفاء الراشدين يبكيه الموت فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سنناً وأظهر بك عدلاً. فبكى ثم قال: أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق؟ فوالله لوعدلت فيهم لخفت على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدى الله، إلا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه. فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات.. ولما

قربت منيته، قال أجلسوني. فأجلسوه فقال: «أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت؟ ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله. ثم رفع رأسه فأحد النظر، فقيل له فى ذلك فقال.. إنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن». ثم قبض رحمه الله.

وقال مسلمة بن عبد الملك لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده فى قبة، فأومىء إلينا أن اخرجوا؟ فخرجنا فقعدنا حول القبة وبقى عنده وصيف -أحد أصحابه- فسمعناه يقرأ هذه الآية ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [**القصص**: ٨٣].

وها هو **عمر بن عبد العزيز** الذى يعده المؤرخون خامس الخلفاء الراشدين لصلاحه وورعه وتقواه ومع ذلك يتهم نفسه بالتقصير فكيف بك يا مسكين وقد تهاونت فى الفرائض قبل السنن. عودة إلى الله قبل الرحيل..

وها هو **هارون الرشيد** والذى كانت له مملكة لا تغيب عنها الشمس فى ضحاها، كان إذا مرت به سحابة وهو يخطب بالمسلمين يقول لها امطرى هنا أو امطرى هناك سوف يصلنى خراجك، وهذا دليل على اتساع مملكة هارون الرشيد ولكن ها هو ملك الموت يأتيه ويصعد بالروح إلى خالقها وأخذ هارون الرشيد ينتقى أكفانه بيده وينظر إليها ويقول: ﴿**مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ** ﴿٢٨﴾ **هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾ [**الحاقة**: ٢٨، ٢٩].

ما يُسن عند الاحتضار:

إذا حضرتَ لدى مسلم وقد أقبل عليه الموت وبدت عليه علامات الاحتضار، وأخذ يسلم الروح إلى خالقها فيسن لك عدة أمور هى:

١- تلقين المحتضر «لا إله إلا الله» لما رواه مسلم وأبوداود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لقنوا موتاكم: «لا إله إلا الله». موتاكم يعنى المحتضرين.

٢- توجيهه إلى القبلة مضطجعاً على شقه الأيمن لما رواه البيهقى والحاكم أن النبى ﷺ لما قدم المدينة، سأل عن البراء بن معرور فقالوا: توفى وأوصى بثلث ماله لك وأن يوجه للقبلة عندما يحتضر. فقال النبى ﷺ أصاب الفطرة. وقد رددت ثلث ماله على ولده.

٣- قراءة سورة يس: لقول النبى ﷺ يس قلب القرآن لايقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له. واقرؤوها على موتاكم.

٤- تغميض عينيه إذا مات، لما رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: الروح إذا قبض تبعه البصر.

٥- تسجيته صيانة له عن الانكشاف وستراً لصورته المتغيرة عن الأعين. فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ حين توفى سُجى ببردة حبرة (رواه البخارى ومسلم).

٦- المبادرة بتجهيزه متى تحقق موته لقول النبى ﷺ قال: «ثلاث لاتؤخرها: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت. والأيم إذا وجدت كفئاً».

٧- يفضل حضور الصالحين ساعة الاحتضار. قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون».

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت لما مات أبوسلمة أتيت النبى ﷺ فقلت يارسول الله. إن أبا سلمة قد مات فقال: قولى اللهم اغفر لى وله

واعقبنى منه عقبة حسنة. قالت فقلت. فأعقبنى الله من هو خير منه: رسول الله ﷺ. ولهذا استحب العلماء أن يحضر الصالحون وأهل الخير حالة موته ليذكروه، ويدعوا له ولمن يخلفه وهذا الدعاء لاشك أنه ينفع الميت.

٨- تليين مفاصله وذلك بشد ذراعيه وإرخائهما وبشد رجليه وإرخائهما مرة أو مرتين وبشد فخذيه إلى بطنه حتى لاتتصلب مفاصله فيصعب تكفينه.

٩- خلع ملابسه التى مات فيها، فإن الملابس تمد الجسد بالحرارة فيسرع إلى الفساد.

١٠- ينبغى على ورثة الميت أن يسارعوا إلى اقضاء دَيْنه إن كان عليه دين. وعلى المصلحين ممن حضروه أن يحثوهم على ذلك فإن روح الميت مرهونة بدَيْنه.

فعن أبى هريرة قال عن النبى ﷺ قال: نفس المؤمن معلقة بَدينِه حتى يقضى عنه. (رواه أحمد وابن ماجة والترمذى).

١١- يُخفف من حدة البكاء والعويل عليه.

* * *

احتضار الكافر:

عندما يأتيه الموت يحاول الفرار منه وأنىّ له ذلك إنه يطلب مهلة من العمر يعوض فيها ما فات لكن نزل الحاجز بين الدنيا والآخرة، فلا تنفع كلمته.. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

يخبر تعالى عن حال المحتضر من الكافرين أو المفرطين فى أمر الله تعالى قولهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ماكان أفسده فى مدة حياته ولهذا قال ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:٩٩]. فذكر الله تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم فى غمرات عذاب الجحيم.

وقال عمر بن عبد الله: إذا قال الكافر رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً يقول الله تعالى: كلا كذبت ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال مجاهد: البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة. وقال محمد بن كعب البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا من أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم وهذا تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ الذى يستمر إلى يوم البعث.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٩٦].

فإن كان المحتضر من المكذبين الضالين بالحق والضالين عن الهدى فنزل من حميم أى فضيافة (من حميم) وهو المذاب الذى يصهر به ما فى بطونهم ثم تغمره النار من جميع جهاته ثم يخبر ربنا تبارك وتعالى إن هذا العذاب سيقع على العصاة والكافرين عند الاحتضار فيقول: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٨، ٢٩].

قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمين لأنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم الخبيثة ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ أى أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ كما يقولون يوم المعاد ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣] قال مكذباً لهم فى قولهم ذلك ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أى بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان لمن كان متكبراً عن آيات الله واتباع رسله وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم وينال أجسادهم فى قبورها من حرها وسمومها فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم فى أجسادهم وخلدت فى نار جهنم.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١].

يقول الله تعالى ولو عاينت يا محمد حال توفى الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمراً عظيماً هائلاً والملائكة يضربون أدبارهم استاههم.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام:٩٣]. قال ابن كثير أى أبسطوا أيديهم بالضرب فيهم بأمر ربهم إذا استصعبت أنفسهم وامتنعت عن الخروج من الأجساد أن تخرج قهراً

وذلك إذا بشروهم بالعذاب والغضب من الله كما جاء فى حديث البراء أن ملك الموت إذا جاء الكافر عند احتضاره فى تلك الصورة المنكرة يقول: اخرجى أيتها النفس الخبيثة إلى سموم وجحيم وظل من يحموم فتتفرق فى بدنه فيستخرجونها من جسده، كما يخرج السنود من الصوف المبلول، فتخرج معها العروق والعصب. ولهذا أخبر تعالى أن الملائكة تقول لهم ذوقوا عذاب الحريق وهذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة فى حياتكم الدنيا.

* * *

تذكـــــرأن

١ - الموت حقيقة موجودة بالقرآن والسنة وليس له سن مقدور ولا مرض محدد، فلابد من الاستعداد لهذه الحقيقة الثابتة.

٢- لذكر الموت فوائد عظيمة وجليلة به ترق القلوب والأفئدة وتحشر مع الشهداء كما أبلغنا الرسول ﷺ وذكرنا للموت يأتى بتغسيل الموتى وزيارة القبور والمرور عليها.

٣- وللموت سكرات وأهوال جسام استعاذ منها الرسول ﷺ فكان لزاماً علينا أن نعمل للوقاية منها.

٤- كان عمر بن عبد العزيز وأصحابه يذكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة بل أن داود عليه السلام كان ذكره للموت ينغص عليه نعيم الدنيا وكان يبكى حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه.

٥- واعلم أن لذكر الموت فوائد ثلاث: تعجيل التوبة. وقناعة القلب. ونشاط العبادة. ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

٦- واعلم أن دواهى الموت ثلاث الأولى: تتمثل فى شدة النزاع والألم الذى لو وضع على جبل لزلزل كيانه. والثانية: فى مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الخوف على القلب منه. والثالثة: فهى مشاهدة العصاة مواضعهم فى النار.

٧- اعلم أن الناس عند الاحتضار ثلاثة إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله.

٨- اعلم أن هناك سنناً للاحتضار مثل تلقين المحتضر الشهادتين وتوجيهه للقبلة. وقراءة سورة يس، وتغميض عينه، وتسجيته صيانة له عن الانكشاف وستراً لعورته. وخلع ملابسه التى مات فيها، وسرعة قضاء دينه. والتخفيف من العويل والبكاء.

٩- إن القلوب قد تعتريها القسوة وتنتابها الغفوة والغفلة. ولابد لها من دواء يزيل صدأ الغفلة. وغبار القسوة ليظهر معدنها كريماً. فيه بريق الإيمان والرحمة. ومن أهم مايرقق القلوب ويجلو صدأها ذكر الموت.

الفصل الثانى

مع الرسول الكريم وصحابته فى وفاتهم

المبحث الأول :

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

المبحث الثانى :

وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

المبحث الثالث :

وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

المبحث الرابع :

وفاة عثمان بن عفان رضى الله عنه

المبحث الخامس :

وفاة على بن أبى طالب رضى الله عنه

المبحث السادس :

وفاة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

مع الرسول الكريم وصحابته فى وفاتهم

أولاً: وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أخرج ابن أبى شيبة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن فى المسجد وهو عاصب رأسه بخرقة فى المرض الذى مات فيه، فأهوى قبل المنبر حتى استوى عليه فاتبعناه فقال: والذى نفسى بيده إنىِّ لقائم على الحوض الساعة، وقال: إن عبداً عُرِضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة فلم يفطن أحد إلا أبو بكر رضى الله عنه فذرفت عيناه فبكى وقال: بأبى أنت وأمى! بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا: ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة.

وأخرج الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]. دعا رسول الله ﷺ فاطمة رضى الله عنها فقال: إنه نعيت إلىَّ نفسى. فبكت. فقال لها: لاتبكى فإنك أول أهلى لاحق بى فضحكت. فرأها بعض أزواج النبى ﷺ فقالت: رأيتك بكيت وضحكت. فقالت. إنه قال لى: قد نعيت إلىَّ نفسى فبكيتُ. فقال: لاتبكين فإنك أول أهلى لاحق بى فضحكتُ.

هذه مؤشرات تدل على قرب لقاء الرسول ﷺ لربه[1]. عن العلاء رضى الله عنه أن النبى ﷺ لما حضرته الوفاة بكت فاطمة عليها السلام فقال لها النبى ﷺ لاتبكى يابنية! قولى إذا ما مت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! فإن لكل إنسان بها من كل مصيبة معوضة. قالت: ومنك يارسول الله! قال: ومنى.

أما الصحابة عندما أحسوا بقرب انتهاء أجل النبى ﷺ أخذوا يبكون. وذكر ذلك ابن عباس رضى الله عنهما إذ قال: أُتى النبى ﷺ فقيل له: هذه الأنصار رجالها ونساؤها فى المسجد يبكون؛ قال: وما يبكيهما؟ قال: يخافون أن تموت.

(١) أخرجه ابن سعد - ج٢، ص٣١٢.

قال فخرج فجلس على منبره متعطف بثوب طارح طرفيه على منكبيه عاصب رأسه بعصابة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح على الطعام فمن ولى شيئاً من أمرهم فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم.

أخرج البزار عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: نعى إلينا نبينا وحبيبنا بأبى هو ونفسى له العزاء قبل موته بست. فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها. فنظر إلينا فدمعت عيناه ثم قال مرحباً بكم. وحياكم الله. وحفظكم الله. آواكم الله. أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم واستخلفه عليكم. إنى لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى عباده وبلاده فإن الله تعالى قال لى ولكم ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [**القصص**: ٨٣]. وقال: ﴿ **أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [**الزمر**:٦٠].

ثم قال قددنا الأجل والمنقلب إلى الله. وإلى سدرة المنتهى أو إلى جنة المأوى. والكأس الأدنى والرفيق الأعلى أحسبه. قال: فقلنا: يارسول الله فمن يغسلك إذاً؟ قال رجال أهل بيتى الأدنى فالأدنى. قلنا ففيم نكفنك؟ قال: فى ثيابى هذه إن شئتم أو فى حلة يمينية أو فى بياض مصر. قال فقلنا فمن يصلى عليك منا؟ فبكينا وبكى وقال مهلاً. غفر الله لكم وجازاكم عن نبيكم خيراً. إذا غسلتمونى ووضعتمونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى فأخرجوا عنِّى ساعة. فإن أول من يصلى علىّ خليلى وجليسى جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده ثم الملائكة صلى الله عليهم. ثم ادخلوا علىّ فوجاً فوجاً فصلوا علىّ وسلموا تسليما ولا تؤذونى بباكية ولا صارخة ولا رانة وليبدأ بالصلاة علىّ رجال من أهل بيتى ثم أنتم بعد واقرأوا أنفسكم منى السلام ومن غاب من إخوانى فأقرأوه منى السلام، ومن دخل معكم فى دينكم بعدى. فإنى أشهدكم أنى اقرأ السلام عليه وعلى من تابعنى على دينى من يومى هذا إلى يوم القيامة

قلنا يارسول الله فمن يدخل قبرك منا؟ قال: رجال أهل بيتى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لاترونهم[1]. قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. إن الرسول ﷺ كان أحب خلق الله إلى الله ومع ذلك هل ترى أمهله الله ساعة عند انقضاء مدته؟ وهل أخّره لحظة بعد حضور منيته؟ لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض روحه الذكية وجلس الحبيب يعالج سكرات الموت وهو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وصاحب المقام المحمود فهيا ننظر لكى نتعظ ونعتبر من موت الحبيب محمد ﷺ.

أخرج أحمد بن يزيد بن بابنوس قال: ذهبت أنا وصاحب لى إلى عائشة رضى الله عنها فاستأذنا عليها، فألقت لنا وسادة وجذبت إليها الحجاب. فقال صاحبى: يا أم المؤمنين ما تقولين فى العراك؟ قالت وما العراك؟ وضربت منكب صاحبى قالت: مه؟ آذيت أخاك ثم قالت: ما العراك؟ المحيض قولوا: ما قال الله عز وجل فى المحيض ثم قالت: كان رسول الله ﷺ يتوحشنى وينال من رأسى وبينى وبينه ثوب وأنا حائض. ثم قالت. كان رسول الله ﷺ إذا مر ببابى مما يلقى الكلمة ينفعنى الله بها. فمر ذات يوم فلم يقل شيئاً، ثم مر فلم يقل شيئاً مرتين أو ثلاثا فقلت: ياجارية ضعى لى وسادة على الباب وعصبت[2] رأسى فمر بى فقال يا عائشة ما شأنك؟ فقلت: اشتكى رأسى فقال: انا وارأساه فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جيء به محمولاً فى كساء فدخل على وبعث إلى النساء فقال: إنى قد اشتكيت وانى لا أستطيع أن أدور بينكن فأذن لى فلأكن عند عائشة. فكنت أمرضه. ولم أمرض أحداً قبله. فبينما رأسه ذات يوم على منكبى إذ مال رأسه نحو رأسى فظننت أنه يريد من رأسى حاجة فخرجت من فيه نقطة

---

(١) أخرجه البذار

(٢) عصبت: شددت.

باردة فوقعت نقره على نحرى فاقشعر[1] لها جلدى فظننت أنه غُش عليه فسجيته ثوباً. فجاء عمر والمعتز بن شعبة رضى الله عنهما فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت إلىّ الحجاب. فنظر عمر إليه فقال: واغشياه. ما أشد غُشى رسول الله ﷺ. ثم قاما فلما دنوا من الباب قال المغيرة: ياعمر. مات رسول الله ﷺ فقلت[2]: كذبت بل أنت رجل تحوسك[3] فتنة إن رسول الله ﷺ لايموت حتى يُفنى الله المنافقين.

قالت: ثم جاء أبوبكر رضى الله عنه فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. مات رسول الله ﷺ. ثم أتاه من قِبل رأسه فحدرفاه فقبل جبهته ثم قال: وانبياه. ثم رفع رأسه فحدرفاه وقبل جبهته ثم قال: واصفياه. ثم رفع رأسه وحدرفاه وقبل جبهته وقال: واخليلاه. مات رسول الله ﷺ. وخرج إلى المسجد وعمر رضى الله عنه يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله لايموت حتى يفنى الله المنافقين. فتكلم أبوبكر رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله يقول: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [**الزمر**: ٣٠]. حتى فرغ من الآية ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ**﴾ [**آل عمران**:١٤٤] حتى فرغ من الآية. ثم قال فمن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات فقال عمر: أو إنها فى كتاب الله؟ ثم قال عمر يا أيها الناس. هذا أبوبكر ذو شيبة[4] المسلمين فبايعوه. فبايعوه.

---

(١) اقشعر: ارتعد.

(٢) عند ابن سعد فقال عمر.

(٣) تحوسك: تخالطك.

(٤) الأرجح ذو أسبقية كما فى هامش البداية والنهاية.

أما عن غسله ﷺ:

قال محمد بن إسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه سمعت عائشة تقول: لما أرادوا غسل النبى ﷺ قالوا: ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى عليهم الله النوم حتى ما منهم أحد إلا وذقنه فى صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لايدرون من هو أن اغسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوق القميص فيدلكونه بالقميص دون أيديهم. فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساؤه[1].

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ نقل وعنده عائشة وحفصة إذ دخل على رضى الله عنهم فلما رآه النبى ﷺ رفع رأسه ثم قال: ادن منى! ادن منى! فأسنده إليه، فلم يزل عنده حتى توفى. فلما قضى قام علىّ وأغلق الباب وجاء العباس رضى الله عنه ومعه بنو عبد المطلب فقاموا على الباب، فجعل على يقول: بأبى أنت. طبت حياً. وطبت ميتاً. وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها فقال: ايها دع حنينا كحنين المرأة واقبلوا على صاحبكم. قال علىّ: ادخلوا على الفضل بن العباس رضى الله عنهما. فقالت الأنصار نشدناكم بالله ونصيبنا من رسول الله ﷺ. فأدخلوا رجلاً منهم يقال له أوس بن خولى رضى الله عنه يحمل جره باحدى يديه. فسمعوا صوتاً فى البيت: لاتجردوا رسول الله ﷺ واغسلوه كما هو فى قميصه. فغسله علىّ يدخل يد من تحت القميص، والفضل يمسك الثوب عنه والأنصارى ينقل الماء، وعلى يد علىّ خرقه يدخل يده تحت القميص.

(١) رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق.

أخا الإسلام تأمل وخذ العظة والعبرة من موت النبى ﷺ إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه. إذ كان خليل الله وحبيبه وعندما حضره الموت اشتد مع ذلك فى النذاع كربه وانينه وتغير لونه وعرق جبينه حتى بكى لموته من حضره فهل رأيت منصب النبوة دافعاً عن مقدور؟.

علامات استفهام: هل رأيتم مصرع أو موت الأحباب؟ هل رأيتم جنازة؟ هل رأيتم القبر؟ هل رأيتم موت أحد العظماء وبجواره أعظم الأطباء؟ ألم تعلموا أن النبى ﷺ رحل عنا؟ ألم تعلموا أن الله قال: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠] مخاطباً نبيه ﷺ: ألم تتذكروا قوله تعالى ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾ [النساء: ٧٨].

فإن كانت الإجابة بالإيجاب فلماذا التهاون والبعد عن الأعمال الصالحة؟ لماذا الجرى وراء هذه الدنيا الحقيرة شأنها ؟. وإن كانت الإجابة بالسلب فأقول إنكم كما قال الله فيكم ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٨].

حال الصحابة عند وفاته ﷺ وبكاؤهم على فراقه:

أخرج ابن خسرو عن أنس رضى الله عنه قال: توفى رسول الله ﷺ فأصبح أبوبكر رضى الله عنه يرى الناس يترامسون، فأمر غلامه يستمع ثم يخبره. فقال: سمعتهم يقولون: مات محمد. فاشتد أبو بكر وهو يقول: وأى انقطاع ظهرى. فما بلغ المسجد حتى ظنوا إنه لم يبلغ. أما عن عثمان ابن عفان فأخرج ابن سعد عن عثمان بن عفان قال: توفى رسول الله ﷺ فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كاد بعضهم يوسوس فكنت ممن حزن عليه فبينما أنا جالس فى اطم من آطام المدينة -أى مكان- وقد بويع أبو بكر رضى الله عنه إذ مر بى عمر بن الخطاب فلم أشعر به لما بى من الحزن فانطلق عمر حتى دخل على أبى بكر فقال: ياخليفة رسول الله. ألا أعجبك. مررت على عثمان فسلمت عليه فلم يرد علىَّ السلام وعندما علم عثمان بذلك قال والله ما شعرت به من شدة حزنى على النبى ﷺ.

وها هو عتاب بن أسيد رضى الله عنه لما بلغه موت النبى ﷺ دخل شعبا من شعاب مكة. فأتاه سهيل بن عمرو رضى الله عنه فقال: قم فى الناس فتكلم فقال: لا أطيق الكلام مع موت الرسول ﷺ. فنقف فى عجب من أمر هذا الصحابى الجليل حجبه عن الكلام رحيل أحب الناس إلى قلوبنا جميعاً ولا عجب فقد رحل المربى الأول منقذهم من النار. ورحل الرحيم بأمته ولكن هذه سنة الله فى الكون لايخلد فيها أحداً رسولاً كان أو زعيماً. حاكماً كان أو محكوماً الكل إلى فناء وعن جعفر رضى الله عنه قال ما رأيت فاطمة رضى الله عنها ضاحكة بعد رسول الله ﷺ إلا أنها قد تمؤى فى طرف فيها وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: بكى الناس على رسول الله ﷺ حين مات وقالوا – والله وددنا أنا متنا قبله ونخشى أن نفتن بعده.

وقال الشاعر:

ألا يارسول الله كنت رخاءنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافياً
وكان بنا براً رحيماً نبينا ... ليبك عليك اليوم ما كان باكياً
لعمرى ما أبكى النبى لموته ... ولكن لهرج كان بعدك آتيا
كأن على قلبى لفقد محمد ... ومن حبه من بعد ذلك المكاويا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

* * *

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة يحرس، فرأى مصباحاً فى بيت؛ فدنا فإذا عجوز تطرق شعراً لها، وتقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليك المصطفون الأخيار
قد كانت قواماً بكى الأسحار يا ليت شعرى، والمنايا أطوار

هل تجمعنى وحبيبى الدار

تعنى النبى ﷺ. فجلس عمر يبكى فما زال يبكى حتى قرع الباب عليها، فقالت: من هذا؟ قال: عمر بن الخطاب. قالت: ومالى ولعمر؟ وما يأتى بعمر هذه الساعة. قال: افتحى رحمك الله فلا بأس عليك! ففتحت له فدخل فقال: ردى علىّ الكلمات التى قلتى آنفاً فردته عليه. فلما بلغت آخره قال: أسألك أن تدخلينى معكما! قالت: وعمر فاغفر له يا غفار. فرضى ورجع[١].

وعن عاصم بن محمد عن أبيه قال: ما سمعت ابن عمر رضى الله عنهما ذاكراً رسول الله ﷺ إلا ابتدرت عيناه تبكيان. كما قال أنس بن مالك فما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبى ثم يبكى[٢].

وهكذا غربت حياة جثمان النبى ﷺ عن عالم الحياة، وترك لنا ميراث مودته ومحبته.

وهكذا خيم الحزن على المجتمع الإسلامى الذى رباه قائد البشرية ومعلم الإنسانية سيدنا محمد ﷺ.

---

(١) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوى - ص٣٣٠ - طبعة دار المعرفة (بيروت - لبنان).
(٢) المرجع السابق.

إلى النبى ﷺ :

دمعة وفاء

أبكى وهل يشفى البكاء غليلاً؟ وقد انتوى عنا الحبيب رحيلا
أبكى، وليس من البكاء بد وإن كان المصاب على القلوب جليلا
أبكى على غصن نما فى روضة للحق أذبله المنون ذبولا
أبكى على نجم أنار ضياؤه دهراً، وأسرع للمغيب أفولا

* * * * *

صعب علينا أن نرى بدر الهوى ونرى التراب على سناه مهيلا
صعب بأن نجد الذى حمل الهدى أمسى على أعناقاً محمولا
صعب علينا أن يباعد بيننا هذا التراب فلا نراه طويلا
يا من ضربت لن المثال مضحياً وأريتنا صور الجهاد الأولى
فحييت فى ظل العقيدة ثابتاً وأبيت إلا أن تموت أصيلا
قد كان آخر ما نطقت بذكره الله أكبر رتلت ترتيلا[1]

* * * * *

(١) شعر الدكتور يوسف القرضاوى - نفحات ونفحات - ص٤٧ - دار الصحوة للنشر.

ثانيا: وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه:

عن عائشة وعبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهم جميعاً قالا: كان أول ما بدأ به مرض أبى بكر إنه اغتسل فى يومٍ بارد فحُم خمسة عشر يوماً لايخرج إلى الصلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلى بالناس.

ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه يعوده فقال: يا أبا بكر أوصنا فقال: إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك، وأعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تحقرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك. ولما ثقل المرض على الصديق رضى الله عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضى الله عنه فقال الناس له: استخلفت علينا فظاً غليظاً فماذا تقول لربك؟ فقال أقول: استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل إلى عمر رضى الله عنه فجاء فقال: إنى موصيك بوصية اعلم أن لله حقاً فى النهار لايقبله فى الليل وأن لله حقاً فى الليل لا يقبله فى النهار وإنه لايقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا واثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا بالحق أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لايوضع فيه إلا الباطل أن يخف وإن الله ذكر أهل الجنة. بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: أنا دون هؤلاء ولا أبلغ هؤلاء، فإن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذى عملوا فيقول القائل: أنا أفضل من هؤلاء وأن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً ولا يلقى بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فإن حفظت وصيتى هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولابد لك منه، وإن ضيعت وصيتى فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولابد لك منه، ولست بمعجزة[1].

(١) أبوحامد الغزالى، إحياء علوم الدين، دار الريان، الجزء الرابع، ص ٥٠٦.

تأمل معى هذه الوصية الجامعة إنها من خليفة رسول الله ﷺ إلى من إلى عمر وما أدراك ما عمر. عمر الذى ضرب الله الحق على قلبه كان زاهداً لدرجة التقشف فها هو يصرخ فى خلافته ويقول ويلك يا عمر كم أهلكت من أطفال المسلمين عندما سمع بكاء طفل يبكى لأن امه تعوده الفطام حتى يأخذ عطاء من بيت مال المسلمين. وكان يقول إن أنا نمت ليلى أضعت نفسى أمام ربى وإن نمت نهارى أضعت رعيتى. ولنا مع وفاة عمر وقفة. عمر بهذه الصفات يزعجه أبو بكر بهذه الوصية الشاملة لكل ما يحتاج إليه الحاكم العادل حتى ينجو من دنياه. وقال سعيد بن المسيب: لما احتضر أبوبكر رضى الله عنه أتاه أناس من الصحابة فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ زودنا فإنا نراك لَما بك. فقال أبو بكر: من قال هذه الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الأفق المبين. قالوا: وما الأفق المبين؟ قال: قاع بين يدى العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار، يغشاه كل يوم مائة رحمة ممن قال هذا القول جعل الله روحه فى هذا المكان. اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم وفريقاً للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير، اللهم إنك خلقت الخلق فرقاً وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً. فلا تشقنى بمعاصيك.

اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفسٍ قبل أن تخلقها فلا محيص لها فما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك. اللهم إن أحداً لايشاء حتى تشاء. فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربنى إليك. اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا يتحرك شىء إلا بإذنك، فاجعل حركاتى فى تقواك اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منها أهلا، فاجعلنى من سكان جنتك. اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم، فاشرح صدرى للإيمان وزينه فى قلبى اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فاحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى إليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك، فأنت ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أبوبكر هذا كله فى كتاب الله عز وجل.

وقبض أبو بكر يوم الاثنين لاحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جماد الآخر للسنة الثالثة عشرة للهجرة، الثانى والعشرين من أغسطس سنة ٦٣٤م وهو فى الستين من عمره. فتوفى فى المساء بعدما غابت الشمس ودفن ليلاً وغسلته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وصلى عليه عمر بن الخطاب. سلام عليك خليفة رسول الله.

* * *

ثالثاً: وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

كان استشهاد عمر رضى الله عنه بعد هذه الحياة الحافلة بأكرم وأشرف وأنبل مايرفع من قيمة الحياة لتكون حياة كريمة. واستشهاداً فريداً.

استشهد وهو الزاهد العادل الورع التقى. .

استشهد وهو طاهر متوضىء قائم لربه. .

استشهد وهو أرحم المسلمين بالمسلمين، بل وهو أرحم الناس بالناس لاتعرف القسوة إلى قلبه مستقراً. .

استشهد وهو فى أطهر بقعة من بقاع الأرض فى محراب رسول الله ﷺ فى روضة من رياض الجنة. .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ صعد أحداً ومعه أبوبكر وعمر وعثمان فرجف أحد: فضربه برجله وقال أثبت أحد فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان فكانت نبوءة محمدية صدقتها الأحداث فاستشهد عمر وعثمان.

وعن سعيد بن أبى طلحة. خطب عمر الناس فقال: «رأيت ديكاً ينقرنى نقرة أو نقرتين، ولا أرى ذلك إلا لحضور أجلى»[1].

ونأخذ من عمر بن الخطاب الدروس والعبر تنبأ له رسول الله ﷺ فما رجف ولا ارتجف. ولا جنب نفسه مواقع الروع حرصاً على حياته. وأقام حوله حرساً ولا أخياراً يحفظونه من أمر الله إنه كان لايدرس كيف يموت، وما اهتم عمر بالموت يأتى بكرة أو عشية.

قال عمرو بن ميمون «كنت قائماً غداة أصيب عمرو ومابينى وبينه إلا عبد الله ابن عباس وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما، فإذا رأى خللاً قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً، فكبر قال: وربما قرأ سورة يوسف أو النحل فى الركعة

(١) شهيد المحراب عمر بن الخطاب. عمر التلمسانى. دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص٣٠٧.

الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلنى أو أكلنى الكلب. حين طعنه أبو لؤلؤة، وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً أو شمالاً إلا طعنه. حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً فمات منهم تسعة - وفى رواية سبعة -فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً. فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه. وتناول عمر رضى الله عنه عبدالرحمن بن عوف فقدمه، فأما من كان يلى عمر فقد رأى ما رأيت، وأما نواحى المسجد ما يدرون ما الأمر؟ غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله. سبحان الله؟ فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة. فلما انصرفوا قال: يا ابن العباس انظر من قتلنى؟ قال: فغاب ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة بن شعبة. فقال: عمر قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفاً. ثم قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم. وعلم الناس أن الفاروق مفارق الدنيا وراحل فدخل عليه شاب وقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل، قد كان لك صحبة من رسول الله ﷺ وقدم فى الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. فقال: وددت أن ذلك كان كفافاً لا علىَّ ولا لىَّ.

وأخذ عمر يلتقط أنفاسه الأخيرة. فقالوا له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال: ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شىء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمارة سعداً فذلك وإلا فليستعن به أيكم أمر، فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة. .

وقال: أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم. وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم.

وهكذا استجاب الله لدعوة أمير المؤمنين لأنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالابطح دعا الله عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنة وضعفت قوته، وانتشرت رعيته، وخاف من التقصير، وسأل الله أن يقبضه إليه، وأن يمن عليه بالشهادة فى بلد النبى ﷺ. كما ثبت عنه فى الصحيح أنه كان يقول: اللهم انى أسألك شهادة فى سبيلك، وموتاً فى بلد رسولك فاستجاب له هذا الدعاء. وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة فى المدينة المنورة وهذا عزيزاً جداً. .

ودفن فى يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين بالحجرة النبوية، إلى جانب الصديق، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى ذلك، وكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وأحد وعشرين يوماً[1].

* * *

(١) الحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – النور الإسلامية – المجلد السابع – ص١٣٥.

رابعاً: وفاة عثمان بن عفان رضى الله عنه:

قال خليفة بن خياط: حدثنا ابن عليه ثنا ابن عوف عن الحسن قال أنبأنى رباب. قال: بعثنى عثمان فدعوت له الأشتر فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاث ليس من أحدهن بد، قال: ما هن؟ قال يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا من شئتم، وبين أن تقتص من نفسك، فإن أبيت فان القوم قاتلوك. فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، وأما أن أقتص لهم من نفسى، فو الله لئن قتلتمونى لاتحابون بعدى، ولا تصلون بعدى جميعاً، ولا تقاتلون بعدى جميعاً عدواً أبداً. قال: وجاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ورجع. وجاء محمد بن بكر فى ثلاثة عشر رجلاً فأخذ بلحيته فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه، فقال: ما أغنى عنك معاوية. وما أغنى عنك ابن عامر، وما أغنت عنك كتبك، قال: ارسل لحيتى يا ابن أخى، قال: فأنا رأيته استعدى رجلاً من القوم بعينه - يعنى أشار عليه - فقام إليه بمشقص فوجى به رأسه. قلت: ثم مه؟ قال: ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه[1].

وأخرج أبو أحمد عن شداد بن أوسى رضى الله عنه قال: لما اشتد الحصار بعثمان رضى الله عنه خارجاً من منزله ومعتماً بعمامه رسول الله ﷺ متقلداً سيفه، أمامه الحسن وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم فى نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم. ثم دخلوا على عثمان رضى الله عنه فقال له علىّ رضى الله عنه: السلام عليك يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر وإنى والله لا أرى القوم إلا قاتليك، فمرنا فلنقاتل. فقال عثمان رضى الله عنه:

«أنشد الله رجلاً رأى الله حقاً وأقر أن لى عليه حقاً أن يهريق فى سبيلى ملء حجمه من دم أو يهريق دمه فى».

---

(١) الحافظ ابن كثير. البداية والنهاية - النور الإسلامية - المجلد السابع - ص١٨٤.

فأعاد على رضى الله عنه عليه القول. فأجابه بمثل ما أجابة. قال: «فرأيت علياً خارجاً من الباب وهو يقول: اللهم إنك تعلم إنَّا بذلنا المجهود ثم دخل المسجد وحضرت الصلاة فقالوا له: يا أبا الحسن؟ تقدم فصل بالناس. فقال: لا أصلى بكم والإمام محاصر ولكن أصلى وحدى، فصلى وحده وانصرف إلى منزله فلحقه ابنه وقال والله. يا أبت. قد اقتحموا عليه الدار. قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون هم والله قاتلوه. قالوا أين هو يا أبا الحسن؟ قال: فى الجنة والله زلفى. قالوا: وأين هم يا أبا الحسن؟ قال: فى النار والله. ثلاثاً»[1].

وقد قال عبد الله بن سلام رضى الله عنه بشأن وفاة عثمان:

قال: «أتيت أخى عثمان لأسلم عليه، وهو محصور، فدخلت عليه فقال: مرحباً يا أخى، رأيت رسول الله ﷺ الليلة فى هذه الخوخة، وهى خوخة البيت فقال: ياعثمان حصروك قلت: نعم. عطشوك؟ قلت: نعم، فأدلى إلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت، حتى أنى لأجد برده بين ثديى وبين كتفى وقال لى: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت افطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده، فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه. وقال عبد الله بن سلام لمن حضر: تشحط عثمان فى الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا: سمعناه يقول: اللهم اجمع أمة محمد ﷺ ثلاثا. قال: والذى نفسى بيده، لو دعا الله ألا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة»[2].

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. فكانت مدة حصاره رضى الله عنه فى داره أربعين يوماً على المشهور ثم كان قتله رضى الله عنه فى يوم الجمعة فى آخر ساعة منها وكان ذلك لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

* * *

(١) محمد يوسف الكاتد هلوى - حياة الصحابة بيروت، الجزء الثانى، ص١١٥.
(٢) أبو حامد الغزالى - إحياء علوم الدين - دار الريان، الجزء الرابع، ص٥٠٨.

خامساً: وفاة على كرم الله وجهه:

كان أمير المؤمنين رضى الله عنه قد تنغصت عليه الأمور، واضطرب عليه جيشه، وخالفة أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه، واستفحل أمر أهل الشام، وصالوا وجالوا يميناً وشمالاً، زاعمين أن الأمرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكمين فى خلعهما علياً وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الأمرة من أحد، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق. هذا وأميرهم على بن أبى طالب خير أهل الأرض فى ذلك الزمان، أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم لله عز وجل ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه حتى كره الحياة وتمنى الموت وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن، وكان يقول: والله لتخضبن هذه ويشير إلى لحيته من هذه ويشير إلى هامته.

ذكر الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية فى صفة مقتله رضى الله عنه ذكر ابن جرير وغيرواحد من علماء التاريخ والسير: أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن ابن عمرو المعروف بابن ملجم الحميرى ثم الكندى حليف بنى حنيفة. والبرك بن عبد الله التميمى أيضاً. اجتمعوا فتذكروا قتل علىّ. اخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟ كانوا لايخافون فى الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرنا منهم البلاد وأخذنا منهم تار اخواننا؟ فقال ابن ملجم: أما أنا فأكفيكم على بن ابى طالب. وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر وأنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا وتواثقوا أن لاينكص رجل منهم عن صاحبة حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها وتواعدوا السبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه فى بلده الذى هو فيه. فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها وكتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها، فبينما هو جالس فى قوم من بنى الرباب يتذكرون قتلاهم يوم النهروان إذا أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشجنة، قد قتل علّى يوم النهروان أباها وأخاها، وكانت فائقة الجمال مشهورة

به، وكانت قد انقطعت فى المسجد الجامع تتعبد فيه فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسى حاجته التى جاء لها وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادماً وقينة. وأن يقتل لها على بن أبى طالب. قال: فهولك والله ما جاء بى إلى هذه البلدة إلا قتل علىّ. فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك وندبت له رجلاً من قومها يقال له وردان واستمال عبد الرحمن بن ملجم رجلاً آخر يقال له شبيب بن نجده الأشجعى الحرووى قال له ابن ملجم: هل لك فى شرف الدنيا والآخرة فقال: وما ذاك: قال؟ قتل علىّ، فقال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إداً كيف تقدر عليه قال أكمن له فى المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وادركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا. فقال ويحك لو غير علىّ كان أهون علىّ؟ قد عرفت سابقته فى الإسلام وقرابته من رسول الله ﷺ فما أجدنى أنشرح صدراً لقتله. فقال أما تعلم أنه قتل أهل النهروان؟ فقال: بلى قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. فأجابه إلى ذلك بعد لاى[1]. ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة السبع عشرة ليلة خلت، وقال: هذه الليلة التى واعدت أصحابى فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص فجاء هؤلاء الثلاثة وهم ابن ملجم، ووردان، وشبيب – وهم مشتملون على سيوفهم فجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها علىّ، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاة الصلاة فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع فى الطاق، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه[2]. فسال دمه على لحيته رضى الله عنه ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حكم إلا الله ليس لك ياعلىّ ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]. ونادى علىّ: عليكم به، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس، ومسك ابن ملجم وقدم على جعده بن هبيرة بن ملجم فأوقف بين يديه وهو

(١) لاى: جهد.

(٢) قرنه: الجانب الأعلى من الرأس.

مكتوف - قبحه الله - فقال له: أى عدو الله ألم أحسن إليك؟ قال: بلى: قال: فما حملك على هذا، قال: شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه فقال له على لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلق الله، ثم قال: إن مت فاقتلوه وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به، فقال جندب بن عبد الله. يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن؟ فقال لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. ولما احتضر عليّ جعل يكثر من قول لا إله إلا الله، لا يتلفظ بغيرها. وقد قيل إن آخر ماتكلم به: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [**الزلزلة**: ٧، ٨].

وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت فى الأمر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، واجتناب الفواحش، ووصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية. رحمه الله.

وقد غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن.

* * *

سادساً: وفاة عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه:

لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سنناً. وأظهر بك عدلاً. فبكى ثم قال: أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق؟ فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدى الله إلا أن يلقنها الله محبتها فكيف بكثير مما ضيعنا.. وفاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات. ولما قرب وقت موته؛ قال: أنا الذى أمرتنى فقصرت، ونهيتنى فعصيت ثلاث مرات، ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر، فقيل له فى ذلك فقال: إنى لأرى حضرة ماهم بإنس ولا جن، ثم قبض رحمه الله تعالى، هذا عمر بن عبد العزيز الذى سئل لماذا امتنعت الذئاب عن افتراس الأغنام قال: أصلحت ما بينى وبين الله فأصلح الله ما بين الذئب والغنم.

ومع هذا يقف موقف الضعيف الذليل أمام ربه مناجياً إياه سائلاً الرحمة والعفو من ربه.

* * *

تذكـــرأن

اعلم أن الرسول الكريم ﷺ كان أحب خلق الله إلى الله ومع ذلك هل ترى أمهله الله ساعة عند انقضاء مدته؟ وهل آخره لحظة بعد حضور منيته؟ لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض روحه الذكية وجلس النبى ﷺ وعالج سكرات الموت.

واعلم أن الرسول ﷺ غسل فى ثيابه بأمر من الله تعالى إلى أصحابه. اختار الرسول محمد ﷺ لقاء ربه ولما تسامع الناس خبر وفاته تولاهم ذهول مروع وأسرع عمر إلى حيث الجثمان الطاهر فكشف وجهه فحسبه فى غيبوبة وذهب إلى المسجد ونفى موت الرسول..

كان لوفاة الرسول هزة عنيفة فى صدر الدولة الإسلامية حيث ارتدت طائفة من الناس عن دفع الزكاة وتصدى لهم الصديق أبو بكر..

لم يكن الطريق أمام الخلفاء الراشدين معبداً أو مفروشاً بالورود وإنما كان للإمبراطورية الإسلامية الوليدة أعداء كثيرون حاولوا الكيد لها منذ أن خرجت إلى الوجود، فلا غرو أن يشتمل تاريخ الامبراطورية الإسلامية فى عهدهم على كثير من ضروب الفتن والمنازعات القبلية والمذاهب الفلسفية وصراع الأجناس والقوميات غير العربية..

لقد تولى الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى خلافة المسلمين بعد وفاة الرسول وكلهم من خيار صحابته الذين التصقوا به منذ أن بزغ فجر الدعوة الإسلامية، وكانوا خير عون له فى نشر الرسالة وتأدية الأمانة ورغم ذلك كله فقد كانت نهاية ثلاثة منهم مفجعة ودامية..

كان عمر بن الخطاب أعف وأزهد خلفاء المسلمين وكان أشدهم ازدراء للدنيا ونفوراً منها ومع ذلك فقد لقى عمر مصرعه فى حادث غريب فريد غلام أعجمى من سبى نهاوند يغمد خنجره فى بطنه وعمر يصلى بالمسلمين..

وفى سيرة عثمان بن عفان صدمه بشعة وهى مصرعة وهو شيخ وقور جاوز الثمانين. فلم يقتله أحد من الفرس واليهود أو النصارى وإنما قتله ثوار من المسلمين فتحوا باب الحرب الأهلية على مصراعيه..

ولقد مات على بن أبى طالب كما مات صاحباه من قبل عمر وعثمان قتيلاً بيد الغدر والاغتيال. مات فارس الإسلام الذى صدق من وصفه بقوله: «إن مثله فى أمة محمد كمثل المسيح فى أمة عيسى أحبه قوم فكفروا بحبه وأبغضه قوم فكفروا فى بغضه».

* * *



الفصل الثالث

القبر أول منـازل الآخرة

المبحث الأول :

القبر بين العذاب والنعيم.

المبحث الثانى :

زيارة القبور وحكم الصلاة عندها .

المبحث الثالث :

الأعمال التى تنفع الميت.

القبر أول منازل الآخرة

أولاً: القبر بين العذاب والنعيم:

أعلم يا عبد الله أن القبر أول منازل الآخرة وأنه من مات قامت قيامته الصغرى وأن العبد إذا قبر عرض عليه مقعده بالغداة - أى ما بين الفجر وشروق الشمس- والعشى- أى ما بين الظهر والغروب- إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ويفسح للمؤمن فى قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون. أما الكافر فيضرب بمطارق من حديد ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

قال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

هذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور وهى قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أى أن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم فى النار.

وقد قال الإمام أحمد ثنا هاشم هو ابن القاسم أبوالنضر ثنا إسحاق بن سعيد هو عمرو بن العاص ثنا سعيد يعنى أباه عن عائشة رضى الله عنها: أن يهودية كانت تخدمها، فلا تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إلا قالت «وقاك الله عذاب القبر» قالت عائشة رضى الله عنها: فدخل رسول الله ﷺ علىّ فقلت يارسول الله، هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال ﷺ: لا من زعم ذلك، قالت: هذه اليهودية لا أصنع إليها شيئاً من المعروف إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر. قال ﷺ: كذبت يهود وهم على الله أكذب، لا عذاب دون يوم القيامة.
ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبة، محمرة عيناه، وهو ينادى بأعلى صوته «القبر كقطع الليل المظلم، أيها

الناس لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً، أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق». وهذا إسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم.

وقد روى البخارى حديث عائشة رضى الله عنها أن اليهودية دخلت عليها، فقالت: نعوذ بالله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال ﷺ: نعم عذاب القبر حق «قالت عائشة رضى الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلَّى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر»[١]. فهذا يدل على أن عذاب القبر واقع بنص القرآن والسنة وهو حقيقة متواترة وإجماع أهل السنة على ذلك.

وقد سئل عثمان بن عفان تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى قال أنى سمعت الرسول ﷺ يقول: «القبر أول منازل الآخرة فإن من نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أصعب»[٢].

ولذلك نظر عمرو بن العاص إلى القبر فنزل وصلى ركعتين فقيل له: هذا شيء لم تكن تصنعه؟ فقال: ذكرت القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما.

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناساً يكشرون فقال: أما أنكم لو أكثرتم من ذكر هازم اللذات لشغلكم عما أرى - يعنى الموت- فأكثروا ذكر هازم اللذات -الموت- فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه: فيقول أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت

---

(١) الحافظ ابن كثير تفسير القرآن العظيم - المنصورة دار الوفاء - ص٨٢ ، ٨٣ - الجزء الرابع.
(٢) أبوحامد الغزالى، إحياء علوم الدين - دار الريان - المجلد الرابع - ص٥١٧.

الدود فإذا دفن العبد المؤمن. قال له القبر: مرحباً وأهلاً. أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلىَّ، فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة.

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلىَّ فإذا وليتك اليوم وصرت إلىَّ فسترى صنيعى بك قال: فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه قال: قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض قال: ويقبض الله له تسعين تنيناً[1] أو تسعة وتسعين لو أن واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا، فتنهشه حتى يقضى به إلى الحساب.

وعن أبى الحجاج الثمالى قال: قال رسول الله ﷺ يقول القبر للميت إذا وضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى؟ ألم تعلم أنى بيت الفتنة. وبيت الظلمة. وبيت الدود؟ ما غرك إذا تمر بى فداداً؟ قال: فإن كان صالحاً أجاب عنه القبر. فيقول أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال فيقول القبر فإنى أعود عليه خضرا ويعود جسده نوراً. وتصعد روحه إلى رب العالمين[2].

وروى الحسن البصرى أنه قال: كنت خلف جنازة فاتبعتها حتى وصلوا بها إلى حفرتها. فنادت امرأة فقالت: يا أهل القبور لو عرفتم من نقل إليكم لأعززتموه؟ قال الحسن: فسمعت صوتاً من الحفرة يقول: قد والله نقل إلينا بأوزار كالجبال وقد أذن لى أن أكله حتى يعود رحيماً: قال: فاضطربت الجنازة فوق النعش وخر الحسن[3].

---

(١) التنين: الحية.

(٢ ، ٣) القرطبى: التذكرة - دار الريان - ص ١٠٩ ، ١١٠.

ولخطورة ذلك وما بعده تعالوا بنا نستمع إلى البراء بن عازب رضى الله عنه وهو يقول خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفى يده عود ينكت(١) به فى الأرض.. فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً.. ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط(٢) من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة.. اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان.. قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء. فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض. قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ(٣) من الملائكة إلا قالوا: ماهذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشجعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة.. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين(٤) واعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم ومنها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.. قال: فتعاد روحه لى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله.. فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام.. فيقولان له: ما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت.. فينادى مناد فى السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة.. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره،

(١) ينكت: أى يضرب بطرفه الأرض ضرباً يؤثر فيها.
(٢) الحنوط: طيب يخلط للميت خاصة تكون له رائحة طيبة.
(٣) ملأ: جماعة.
(٤) عليون: من العلو وقيل: هى السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين

ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح. .فيقول أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد. . فيقول له: من أنت. . فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير؟ فيقول أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى. . قال: وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه، معهم المسوح[1] فيجلسوه مد البصر. . ثم يجيء ملك الموت[2] حتى يجلس عند رأسه، فيقول أيتها النفس الخبيثة أخرجى إلى سخط من الله وغضب. . فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[3] من الصوف المبلول. . فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا، ما هذا الروح الخبيثة؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا. . حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له. . ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾ [**الأعراف**: ٤٠].

يقول الشهيد سيد قطب فى تفسير هذه الآية: ودونك فقف بتصورك ماتشاء أمام هذا المشهد العجيب. . مشهد الجمل تجاه ثقب الابرة فحين يفتح ذلك الثقب الصغير لمرور الجمل الكبير، فانتظر حينئذ أن تفتح أبواب السماء لهؤلاء المكذبين فتقبل دعاءهم أو توبتهم. وقد فات الأوان. وأن يدخلوا إلى جنات النعيم، أما الآن، وإلى أن يلج الجمل فى سم الخياط. فهم هنا فى النار، التى تداركوا فيها جميعاً وتلاحقوا وتلاوموا فيها وتلاعنوا، وطلب بعضهم لبعض سوء الجزاء. ونالوا جميعاً ماطلبه للأولياء[4].

---

(١) المسوح: جمع مسح وهو كساء من الشعر.

(٢) لم يأت فى السنة الصحيحة أن اسم ملك الموت عزرائيل ولعله من الاسرائيليات.

(٣) السفود: حديدة ذات شعب معقفة.

(٤) الشهيد سيد قطب: فى ظلال القرآن. دار الشروق. الجزء الثالث. ص٢١٩١.

فيقول الله: اكتبوا كتابه فى سجين[1] فى الأرض السفلى.. فتطرح روحه طرحاً ثم قال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول هاه هاه.. لا أدرى فيقولان له مادينك؟ فيقول: هاه هاه.. لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب. منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوؤك.. هذا يومك الذى كنت توعد فيقول فمن أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث.. فيقول رب لاتقم الساعة[2].

ولما تقدم يستفاد أن لأهل القبور حياة.. بها يدرك أثر النعيم وأثر العذاب، ولو تفتتت أجسادهم. وقد سترعنا رحمة بنا لقول النبى ﷺ «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبور»[3].

فهذا هو حال أهل القبور.. فماذا سيكون بعد ذلك؛ بعث وحشر ووقوف بين يدى علام الغيوب وحساب وميزان وصراط وأهوال جسام.

واعلم أن النعيم أو الشقاء يبدأ من أول لحظة فى دخول القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

واعلم يا مسكين أن للقبر ضمة لما ذكره النسائى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفا من الملائكة ولقد ضم ضمة ثم فرج عنه «قال أبو عبد الرحيم النسائى يعنى سعد بن معاذ»[4].

---

(١) سجين: أى فى سجن وضيق.
(٢) اخرجه أحمد وأبوداود وابن خزيمة.
(٣) اخرجه أحمد ومسلم والنسائى.
(٤) القرطبى. التذكرة. دار الريان. ص١١٠.

قال محمد بن المنكدر: بلغنى أن الكافر يسلط عليه فى قبره دابة عمياء صماء فى يدها سوط من حديد فى رأسه مثل غراب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة. لا تراه فتتقيه ولاتسمع صوته فترحمه.

قال أبوهريرة: إذا وضع الميت فى قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته. فإن أتاه من قبل رأسه جاءته قراءته القرآن. وإن أتاه من قبل رجليه جاءته قيامه. وإن أتاه من قبل يده قالت اليدان والله لقد كان يبسطنى للصدقة والدعاء لاسبيل لكم عليه، وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه. وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما أنى لو رأيت خللاً فكنت أنا صاحبه. قال سفيان: تجاحش عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده. ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك فى مضجعك فنعم أخلاؤك. ونعم الأصحاب أصحابك[1].

وروى أبوهريرة عن رسول الله ﷺ قال: أتدرون فيمن نزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]. أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر فى القبر والذى نفسى بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً. أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس ينفخن فى جسمه، ويلسعنه ويخدشنه إلى يوم القيامة ويحشر من قبره إلى موقعه أعمى[2].

وأعلم رحمك الله أن البهائم تسمع عذاب القبر لقول النبى ﷺ والذى نفسى بيده إنهم ليعذبون فى قبورهم حتى تسمع البهائم أصواتهم: وقد قال أبومحمد عبد الحق: حدثنى الفقيه أبوالحكم بن برجان - وكان من أهل العلم والعمل رحمه الله - أنهم دفنوا ميتاً بقريتهم من شرق أشبيلية. فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريباً منهم. فإذا الدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع. ثم ولت فارة كذلك فعلت مرة بعد أخرى. قال

(١) حامد الغزالى - إحياء علوم الدين. دار الريان. ص٥٣٥. المجلد الرابع.
(٢) القرطبى: التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة. طبعة دار الريان. ص ١٥٢.

أبوالحكم رحمة الله فذكرت عذاب القبر وقول النبى ﷺ إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه البهائم»[1].

ولكن أخا الإسلام أعلم أن الله تبارك وتعالى يثبت عباده الصالحين فى هذا الموقف لقوله تبارك وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وهذه الآية تعنى: يثبت الله الذين آمنوا على القول الحق فى الحياة الدنيا وفى يوم القيامة. ويبعد الله الكافرين عنه لسوء استعدادهم. ويفعل الله ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه[2].

أقوال السلف فى عذاب القبر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب. ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين[3].

وقال النووى رحمه الله: اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبى ﷺ من رواية جماعة من الصحابة فى مواطن كثيرة ولا يمتنع فى العقل أن يعيد الله تعالى الحياة فى جزء من الجسد ويعذبه وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده.

---

(١) ابن القيم الجوزية. الروح. دار إحياء الكتب العربية. ص٧١.
(٢) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. المنتخب فى تفسير القرآن. الطبعة الخامس عشر - ص٣٦٨.
(٣) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨٤.

وقال أيضاً: ولا يمنع من ذلك - يعنى عذاب القبر - كون الميت قد تفرقت أجزاؤه كما نشاهد فى العادة أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك فكما أن الله تعالى يعيده للحشر وهو سبحانه وتعالى قادر على ذلك فكذا يعيد الحياة إلى جزء منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان، فإن قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله فى قبره فكيف يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر؟ فالجواب أن ذلك غير ممتنع بل له نظير فى العادة وهو النائم فإنه يجد لذة وآلاماً لا نحس نحن شيئاً منها وكذا يجد اليقظان لذةً وألماً لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه منه.

وكذا كان جبريل عليه السلام يأتى النبى ﷺ؛ فيخبره بالوحى الكريم ولايدركه الحاضرون. وكل هذا ظاهر جلى، والله أعلم. انتهى ملخصاً[1].

الأعمال التى تُفضى لعذاب القبر:

ولابن أبى شيبة وغيره عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَنَزَهُوا من البول، فإنَّ عامة عذاب القبر منه».

وللبيهقى وغيره عن ميمونة؛ قالت: قال النبى ﷺ: «يا ميمونة، تعوذى بالله من عذاب القبر، وإنَّ من أشد عذاب القبر الغيبة، والبول».

وله عن قتادة قال: «إن عذاب القبر ثلاثة، ثُلثٌ من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول. وله عن أبى هريرة مرفوعاً نحوه، قال: من ثلاثة: من الغيبة والنميمة، والبول؛ فإياكم ذلك».

وخلاصة هذه الأحاديث أن الإسلام يدعو إلى الطهارة حفاظاً على نظافة الإنسان، ويدعو إلى البعد عن الغيبة، والنميمة؛ لأنهما يُدمران كيان المجتمع.

---

(١) شرح مسلم: ١٧/ ٢٠٠.

ما يجنى المؤمن من عذاب القبر:

أولاً: الرباطُ فى سبيل الله:

لما رواه مسلم عن سلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأُجرى عليه رزقه وأمن من الفتان» فالرباط من أفضل الأعمال التى يبقى ثوابها بعد الموتِ.

وذكر الترمذى عن فُضاله بن عُبيد عن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطاً فى سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر» (حديث حسن صحيح وأخرجه أبوداود بمعناه). ولا معنى للنماء إلا المضاعفة وهى غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه بل هى فضل دائم من الله تعالى لأن أعمال البر لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسته بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام وهذا العمل الذى يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة.

ثانياً: الشهادة فى سبيل الله:

حيث روى النسائى عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: يارسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة. وقوله عليه السلام فى الشهيد «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة».

معناه: أنه لو كان فى هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا التقى الزحفان وبرقت السيوف فروا لأن من شأن المنافق: الفرار والروغان عند ذلك ومن شأن المؤمن: البذل والتسليم لله نفساً وهيجان حمية الله والتعصب له لإعلاء كلمته. فهذا قد ظهر صدق ما فى ضميره حيث برز للحرب والقتال فلماذا يعاد عليه السؤال فى القبر.

ثالثاً: سورة الملك:

روى الترمذى عن ابن عباس قال: ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبره وهو لايحسب أنه قبر فإذا إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله ضربت خبائى[1] على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر. فإذا بقبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ «هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر».

رابعاً: من مات بمرض البطن:

روى ابن ماجة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من مات مريضاً مات شهيداً، ووقى فتنة القبر، وغدى وريح عليه برزقه من الجنة .

خامساً: من مات يوم الجمعة:

روى الترمذى، عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «مامن مسلم يموت يوم الجمعة: أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر».

---

(١) خبائى: ضمينى.

ثانيا: زيارة القبور:

زيارة القبور مستحبة للرجال . .

فعن بريدة رضى الله عنه قال: قال ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة»[1].

وكان النهى ابتداءً كقرب عهدهم بالجاهلية فلما رسخ الإيمان فى قلوبهم أذن لهم بالزيارة لأن القبر عندما تراه تستشعر عظمة الله تبارك وتعالى، وتوقن بمصيرك ومآلك ومنتهاك ومرقدك.

ومما يدل على استحباب الزيارة حديث عائشة رضى الله عنها قالت: كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين. وأتاكم ما توعدون. غداً مؤجلون. وإنا إنْ شاء الله بكم لاحقون. اللهم أغفر لأهل بقيع الغرقد»[2].

صفة الزيارة:

إذا وصل الزائر إلى القبر استقبل وجه الميت وسلم عليه ودعا له.

عن بريدة قال: كان النبى ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون. أنتم فرطنا ونحن لكم تبع ونسأل الله لنا ولكم العافية. (رواه مسلم).

وأما ما يفعله بعض من لا علم لهم، من التمسح بالأضرحة وتقبيلها والطواف حولها فهو من البدع المنكرة، التى يجب اجتنابها ويحرم فعلها فإن ذلك لايكون إلا بالكعبة زادها الله شرفاً، وبقبر رسول الله دعاء وسنة.

قال ابن القيم: كان النبى ﷺ: إذا زار القبور يزورها للدعاء لأهلها والترحم عليهم والاستغفار لهم.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

أما بالنسبة لزيارة النساء: فهى جائزة ففى الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ مر بامرأة عند قبر تبكى على صبى لها فقال لها. . اتقى الله، واصبرى فقالت: وما تبالى بمصيبتى. فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد على بابه بوابين فقالت: يارسول الله لم أعرفك: فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى[1].

نستدل بذلك أن رسول الله ﷺ رآها عند القبر فلم ينكر عليها ذلك. لأن الزيارة من أجل التذكير بالآخرة.

حكم الصلاة عند القبور:

يتخذ البعض من القبور مساجد، فيذهبون إليها للصلاة والطواف بها وتقبيلها. وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات. وبعض الجهلة من الناس يذهبون إلى هناك ويوقدون السرج عليها وقد نهى الرسول عن ذلك. كما نهى عن اتخاذ القبور مساجد.

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى توفى فيه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2]. رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[3] - رواه البخارى.

وقال النبى ﷺ: «لاتصلوا إلى قبر، ولا تصلوا على قبر»[4].

وعن أبى بكر قال لما أئتمروا فى دفن رسول الله ﷺ قال قائل: ندفنه حيث كان يصلى فى مقامه، وقال أبوبكر: معاذ الله أن نجعله وثناً يعبد، وقال الآخرون: ندفنه فى البقيع حيث دفن أخوانه من المهاجرين، قال أبوبكر: إنَّا

---

(١) متفق عليه.

(٢) (٣) رواه البخارى.

(٤) رواه الطبرانى.

نكره أن يخرج قبر رسول الله إلى البقيع، فيعوذ به من الناس لله عليه حق، وحق الله فوق حق رسول الله، فإن أخرجناه ضيعنا حق الله وإن أخفرنا قبر رسول الله ﷺ: فما ترى أنت يا أبا بكر؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ماقبض الله نبياً قط إلا دفن حيث قبض روحه، قالوا فأنت والله رضى مقنع ثم خطوا حول الفراش خطاً ثم احتمله عليّ والعباس والفضل وأهله ووقع فى الحفر يحفرون حيث كان الفراش .

وعن جندب بن عبد الله البجلى أنه سمع النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «قد كان لى فيكم أخوة وأصدقاء وأنى أبرأ إلى الله أن يكون لى فيكم خليل، وإن الله عز وجل قد اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك»[١].

«والنهى عن بناء المساجد على القبور له علتان احداهما أنه يؤدى إلى تنجيس المسجد. وثانيهما وهو قد يؤدى إلى الضلال والفتنة بالقبر لأنه إذا وقع بالمسجد وكان قبر ولى مشهور بالخير والصلاح لايؤمن من طول المدة أن يزيد اعتقاد الجهلة فيه، ويؤدى بهم ذلك إلى الكفر والإشراك»[٢].

وخلاصة ذلك: إذا قصد المصلى المسجد المقبور من أجل التبرك بالقبر كما يفعله كثير من العامة ففى هذه الحالة لا شك فى تحريم الصلاة فيها بل فى بطلانها لأنه إذا نهى ﷺ عن بناء المساجد على القبور، ولعن من فعل ذلك فالنهى عن قصد الصلاة فيها أولى، والنهى هنا يقتضى البطلان.

أن يصلى فيها اتفاقاً لا قصداً للقبر. فذهب جمهور العلماء إلى الكراهة دون البطلان[٣] واعلم أن كراهة الصلاة فى المساجد المبنية على القبور مضطردة فى كل

(١) رواه مسلم.
(٢) محمد نصرالدين الألبانى: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد. المكتب الإسلامى. الطبعة الرابعة. ص٨٣.
(٣) المرجع السابق.

حال، سواء كان القبر أمامه أو خلفه يمينه أو يساره. فالصلاة فيها مكروهة على كل حال، ولكن الكراهة تشتد إذا كانت الصلاة إلى القبر لأنه فى هذه الحالة ارتكب المصلى مخالفتين، الأولى فى الصلاة فى هذه المساجد والأخرى الصلاة إلى القبر وهى منهى عنها مطلقاً سواء كان فى المسجد أو غير المسجد والأمر -والله أعلم- متوقف على نية المصلى وعلى قصده.

والحكم السابق ذكره يشمل كل المساجد كبيرها وصغيرها، قديمها وحديثها فلا يستثنى من ذلك مسجد فيه قبر إلا المسجد النبوى الشريف، لأن له فضيلة خاصة لاتوجد فى شىء من المساجد المبنية على القبور وذلك لقوله ﷺ: «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[1].

ولقوله: «مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة»[2].

وقد ذكر محمد بن إسحاق فى مغازية من زيادات يونس بن بكير عن أبى بكير عن أبى خلدة خالد بن دينار قال حدثنا أبوالعالية قال: «لما فتحنا تستر وجدنا فى بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت وعند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف، فحملناه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فدعا له كعباً، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه قرأته مثل ما أقرأ القرآن فقلت لأبى العالية: ما كان فيه: قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم.. وماهو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة. فلما كان الليل دفناه وسويناه القبور كلها لنمنعه على الناس لا ينبشونه فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال رجل يقال له دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت ماكان تغير منه شىء؟ قال: لا إلا شعيرات من قفاه. إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض. ولا تأكلها السباع[3] ففى هذه القصة ما

(١) رواهما البخارى ومسلم.

(٢) ابن القيم الجوزية: تحقيق السيد الجميلى. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. دار ابن زيدون. بيروت. ص٢٠٥.

(٣) رواه مسلم.

فعله المهاجرون والأنصار من دفنه وتسوية قبره لئلا يفتن به الناس ويدعون الله عنده ويتوسلون به إلى الله ويعبدونه من دون الله تبارك وتعالى.

فلو كان الدعاء عند القبر والصلاة والطواف سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن هذا جهل متفش بين بعض الجهلة من المسلمين.

* * *

ثالثاً: الأعمال التى تنفع الميت:

من المعروف أن الميت ينتفع بما كان سبباً فيه من أعمال البر فى حياته لقول النبى ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

وفى سنن ابن ماجة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أكره، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته».

وفى صحيح مسلم أيضاً من حديث جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ وآله: «من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده؛ من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده؛ من غير أن ينقص من أوزارهم شىء».

ومن هذه الأحاديث نخرج بأن أرواح الموتى تنتفع من سعى الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة الفقهاء وأهل الحديث والتفسير:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت فى حياته.

ثانيهم: دعاء المسلمين له واستغفارهم له والصدقة والحج على نزاع ما الذى يصل من ثوابه هل ثواب الإنفاق أو ثواب العمل؟.

فعند الجمهور: يصل ثواب العمل نفسه وعند بعض الحنفية إنَّما يصل ثواب الإنفاق واختلفوا فى العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر، فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف وصولها، وهو قول بعض أصحاب أبى

(١) رواه مسلم.

حنيفة، نص على هذا الإمام أحمد فى رواية محمد بن يحيى الكحال قال: قيل لأبى عبد الله الرجل يعمل الشىء من الخير من صلاة أو صدقة أو غير ذلك فيجعل نصفه لأبيه أو لأمه؟ قال: أرجو، وقال: الميت يصل إليه كل شىء من صدقة أو غيرها - وقال أيضاً: اقرأ آية الكرسى ثلاث مرات. وقل هو الله أحد، وقل اللهم إن فضله لأهل المقابر(١).

وأيضاً ينتفع الميت بغير ما تسبب فيه والأدلة على ذلك كثيرة ومنها قول الله تبارك وتعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء لهم.

وفى صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب قال: «كان رسول الله ﷺ وآله يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنَّا إن شاء اللهُ بكم لاحقون. نسأل الله لنا ولكم العافية».

وفى صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال: ﷺ وآله مر على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، واكرم نزله واوسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وادخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار».

وفى السنن عن واثلة بن الأسقع، قال صَلَّى الله عليه وآله وسلم على رجل من المسلمين، فسمعته يقول: «اللهم إن فلان ابن فلان فى ذمتك وحبل جوارك، فقِه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء، والحق، فاغفر له وارحمه إنك أنتَ الغفور الرحيم».

---

(١) ابن القيم الجوزية. الروح دار إحياء الكتب العربية. ص١٥٨/١٥٩.

وفى السنن من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه، قال: كان النبى ﷺ وآله إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل».

وفى صحيح مسلم أن عائشة رضى الله عنها سألت النبى ﷺ كيف تقول إذا استغفرت لأهل القبور قال: «قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنَّا إن شاء الله اللاحقون».

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: أن رسول الله ﷺ خرج فى ليلتها من آخر الليل إلى البقيع يدعو لهم وقد تقدم ذكر دعاء الرسول لأهل البقيع.

هذه الأحاديث تدل على انتفاع الميت بالدعاء له والاستغفار ودعاء النبى ﷺ للأموات فعلاً منه ودعاء الصحابة والتابعين والمسلمين عصراً بعد عصر لدليل واضح على وصول الثواب لروح الميت وقد جاء أن الله يرفع درجة العبد فى الجنة فيقول: أنى لى هذا؟ فيقال: بدعاء ولدك لك.

أما عن وصول ثواب الصدقة:

ففى الصحيحين: عن عائشة رضى الله عنها: «أنَّ رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله إنَّ أمى افتلتت نفسها، ولم تُوصى، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجرٌ إنْ تصدقت عنها؟ قال: نعم».

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه: «أنَّ رجلاً قال للنبى ﷺ: إنَّ أبى مات وترك مالاً ولم يوصى فهل يكفى عنه أن أتصدق عنه؟ قال: نعم».

وفى صحيح البخارى: عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: «أن سعد بن عباده، توفيت أمه وهو غائب عنها، فأتى النبى ﷺ وآله فقال: يارسول الله إنّ أُمى تُوفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت عنها قال: نعم. قال: فإنى أشهدك أن حائطى المخراف صدقة عنها».

- المخراف: اسم حائط لسعد بن عباده.

فى وصول ثواب الصوم:

ففى الصحيحين. عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه».

وفى الصحيحين أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال: نعم فدين الله أحق أن يقضى».

وفى رواية «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله، إن أمى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ قال: أفرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها؟ قالت: نعم. قال: فصومى عن أمك».

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه لكل يوم مسكيناً». رواه الترمذى وابن ماجه.

وفى سنن أبى داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إذا مرض الرجل فى رمضان ولم يصم أُطْعِم عنه، ولم يكن قضاء وإن نذر قضى عنه وليه».

فى وصول ثواب الحج:

وأما وصول ثواب الحج، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالقضاء».

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما «أن أمرأة سألت النبى ﷺ عن ابنها مات ولم يحج قال: حجى عن ابنك».

*** أما عن قراءة القرآن: وهذا رأى الجمهور من أهل السنة.**

قال النووى المشهور من مذهب الشافعى أن لا يصل، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الشافعى إلى أنه يصل(١).

قال الله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩]. قال الحافظ ابن كثير أى كما لايحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى رحمه الله أن القراءة لايصل إهداء ثوابها إلى الموتى لانه ليس من عملهم ولاكسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليها ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ولم ينقل أحد من الصحابة رضى الله عنهم.

وفى النهاية أى الأعمال أفضل فى إهداء الثواب إلى الميت قيل: الأفضل ما كان أنفع فى نفسه، فالعتق عنه والصدقة أفضل من الصيام عنه وأفضل الصدقة ما صادقت حاجة من المتصدق عليه، وكانت دائمة مستمرة ومنه قول النبى ﷺ «أفضل الصدقة سقى الماء» وهذا فى موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش، وإلا فسقى الماء على الأنهار والقنى لايكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة، وكذلك الدعاء والاستغفار له إذا كان بصدق وإخلاص وتضرع فهو فى موضعه أفضل من الصدقة عنه كالصلاة على الجنازة والوقوف للدعاء على قبره، وبالجملة فأفضل ما يُهدى إلى الميت العتق والصدقة والاستغفار له والدعاء له والحج عنه»(٢).

اعلم يا عبد الله أن القبر أول منازل الآخرة وأنه من مات قامت قيامته الصغرى وإذا قبر عرض عليه مقعده من الجنة أو النار.

واعلم أن عذاب القبر ونعيمه واقع بنص القرآن والسنة وهو حقيقة متواترة وإجماع أهل السنة على ذلك.

(١) السيد سابق - فقه السنة - طبعة مكتبة المسلم - ص٤٨٠.
(٢) ابن القيم - الروح - دار احياء الكتب العربية - ص١٩٠.

واعلم أن لأهل القبور حياة بها يدرك أثر النعيم وأثر العذاب ولو تفتتت أجسادهم وقد ستر عنا رحمة بنا.

واعلم أن سؤال الملكين حق وأن الله يثبت الذين آمنوا على القول الحق فى الحياة الدنيا وفى يوم القيامة ويبعد الله الكافرين عنه لسوء استعدادهم ويفعل الله ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

واعلم أن زيارة القبور مستحبة للرجال إذا كان المقصود بالزيارة التذكر والاعتبار لأنك هناك توقن بمصيرك ومآلك ومنتهاك ومرقدك.

واعلم أن التمسح بالأضرحة وتقبيلها والطواف بها والصلاة فيها من البدع المنكرة والتى يجب اجتنابها ويحرم فعلها فإن ذلك لايكون إلا بالكعبة زادها الله شرفاً.

واعلم أن الأعمال التى تنفع الميت هو ما تسبب إليه الميت فى حياته ودعاء المسلمين له واستغفارهم له والصدقة والحج والعتق.

* * *

الفصل الرابع

يوم القيامة

المبحث الأول :

الساعة وأحداثها

المبحث الثاني :

النفخ في الصور والحشر

المبحث الثالث :

من أسماء يوم القيامة



أولاً: الساعة وأحداثها:

الساعة هى ذروة الغيب وعلمها المحجوب عن الكل، والله أنذر بها الناس حيث قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨](١).

قال الشهيد سيد قطب فى تفسيره لهذه الآية: أن الله يوجه الرسول ﷺ إلى انذار القوم بذلك اليوم، فى مشهد من مشاهد القيامة ينفرد فيه الله بالحكم والقضاء. بعدما عرضه عليهم فى صورة حكاية لم يوجه لهم فيها الخطاب ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ١٨ - ٢٠].

والآزفة. القريبة والعاجلة. وهى القيامة واللفظ يصورها كأنها مقتربة زاحفة. والأنفاس من ثم مكروبة لاهثة. وكأنما القلوب المكروبة تضغط على الحناجر، وهم كاظمون لأنفاسهم ولآلامهم ولمخاوفهم والكظم يكربهم، ويفل صدورهم. وهم لايجدون حميماً. يعطف عليهم ولا شفيعاً ذا كلمة تطاع فى هذا الموقف العصيب المكروب(٢). . الساعة. . الساعة. . الساعة آتية يامن تعصون الله فى الأرض لقوله تعالى ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]

الساعة قادمة يامن ظلمتم العباد وتجبرتهم على كتاب الله وسنة النبى ﷺ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩]. أى أن القيامة لآتية لاشك فيها ولكن أكثر الناس لا يصدقون ولايؤمنون بحدوثها.

---

(١) الشهيد سيد قطب. فى ظلال القرآن.

(٢) دار الشروق - المجلد الخامس - ص ٣٠٧٤.

واعلم أخا الإسلام أن الله أخفى موعد القيامة فلا يعلمه إلا هو حيث قال: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

كانت اليهود تقول للنبى ﷺ إن كنت نبياً فاخبرنا عن الساعة متى تقوم والنبى بشر لايدعى شيئاً خارج بشريته ولايتعدى حدودها إنما يُعلمه ربه ويوحى إليه مايشاء: قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو فهو جل وعلا مختص بعلمها.

قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١]. روى قتادة عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ وقد كادت الشمس أن تغيب فقال ما بقى من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقى من هذا اليوم فيما مضى وما نرى من الشمس إلا يسيرا(١).

وفى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١] ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ [الانفطار: ١]. ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١].

قال القرطبى: وإنّما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق وانفطارها وتكور شمسها وانكدار نجومها وتناثر كواكبها إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم بعد نشر صحفهم وقراءة كتبهم وأخذه بأيمانهم وشمائلهم أو من وراء ظهورهم فى موقفهم.

يقول الله تعالى مخبراً عن بعض المشاهد التى تحدث يوم القيامة: -

(١) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبى - المجلد السابع عشر، ص١٢٥.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ١ - ٤].

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآيات: عن ابن عباس قال: إذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ويبعث الله ريحاً ديوراً فتضرمها ناراً. وإذا الكواكب انتثرت قال الربيع بن أنس عن أبى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة، بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذا وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماج بعضهم فى بعض.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

رفع الرسول بهاتين الآيتين صوته. عندما سمع الصحابة بذلك حثوا الخطى وعرفوا أنه عند قوله بقوله فلما دنوا حوله قال: «أتدرون أى يوم ذاك. ذاك يوم ينادى آدم عليه السلام فيناديه ربه عز وجل، فيقول: يا آدم ابعث بعثك إلى النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فى النار وواحد فى الجنة» قال فأبلس أصحابه حتى ما أوضحوا أيضاً حكمه فلما رأى ذلك، قال: «أبشروا واعملوا فوالذى نفس محمد بيده إنكم لمع خليفتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هَلَكَ من بنى آدم وبنى ابليس» قال: فسرى عنهم ثم قال: «اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس إلا كالشامة فى جنب البعير أو الرقمة فى ذراع الدابة»[1].

(١) رواه الترمذى.

وقد أوردت الأحاديث النبوية أموراً تدل على قرب الساعة، ومنها قول النبى ﷺ: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة[1]، أى إذا تولى أمر المسلمين من لم يحكم بما أنزل الله.

وها نحن الآن نعيش فى هذا العصر وسد الأمر إلى غير أهله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

(١) رواه البخارى.

ثانياً: النفخ فى الصور والحشر:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧].

أى ذكرهم يوم ينفخ فى الصور. والصور قرن من نور ينفخ فيه اسرافيل.

قال: مجاهد كهيئة البوق.

قال أبوهريرة: قال النبى ﷺ: إن الله لما فرغ من خلق السموات خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصاً إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة - قلت: يارسول الله والصور، قال: قرن والله عظيم والذى بعثنى بالحق إن عظم داره فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات. النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين والنفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق فى أرض الجزاء(١).

وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ [ق: ٤١، ٤٢].

أى استمع النداء والصوت أو الصيحة وهى صيحة القيامة وهى النفخة الثانية والمنادى جبريل وقيل إسرافيل. ينفخ جبريل ينادى بالحشر ويقول هلموا إلى الحساب فالنداء على هذا فى المحشر وقيل استمع نداء الكفار بالويل والثبور من مكان قريب أى يسمع الجميع فلا يبعد أحد عن ذلك النداء. وقيل المكان القريب. صخرة بيت المقدس ويقال إنّها وسط الأرض. يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج. يعنى صيحة البعث ومعنى الخروج الاجتماع إلى

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

الحساب أى يوم الخروج من القبور وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١، ٥٢]. هذه النفخة هى نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور ولهذا قال الله تعالى ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ والنسلان هو المشى السريع فعندما شاهدوا العذاب واقع لا محالة ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ ومرقدهم يعنى قبورهم التى كانوا يعتقدون فى الدار الدنيا أنهم لايبعثون منها فلما عاينوا ما كذبوا به فى محشرهم. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا. وهذا لاينفى عذابهم فى قبورهم لأنه بالنسبة إلى مابعده فى الشدة كالرقاد.

ولذلك لابد أن نعلم أنه لو لم يكن بين يدى الموتى إلا هول تلك النفخة لكان جديراً بأن يتقى فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والأرض - يعنى يموتون بها - إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال النبى ﷺ «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ»(١).

فياعبد الله تفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة وانتظاراً لما يقضى عليه من سعادة أو شقاوة أبدية وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم وفى هذا اليوم تأتى الوحوش من البرارى والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتها شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم. فتفكر يا مسكين فى حالك وحال قلبك هنالك.

---

(١) أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد.

وقال الشاعر :

مثل لنفسك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور
إذا كورت شمس النهار وأدنيت حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها ورأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة احشرت وتقول للأفلاك أين نسير
وإذا تقاة المسلمين تزوجت من حور عين زانهن شعور
وإذا المؤودة سئلت عن شأنها وبــأى ذنب قتــلهــا ميسـور
وإذا الجليل طوى السما بيمينه طى السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت تبدى لنا يوم القصاص أمور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت وتهتكت للمؤمنين ستور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنات تزخرفت وتطيبت لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية كيف المصر على الذنوب دهور

* * *

صفة الحشر:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦].

يخبر الله تعالى عن أوليائه المتقين الذين خالفوه فى الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم وأطاعوهم فيما أمروهم وانتهوا عما عنه زجروهم. أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه، والوافدون هم القادمون ركباناً ومنه الوفود، وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه، وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم فإنهم يساقون عنفاً إلى النار (ورداً) عطاشاً.

وقيل ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره فى أحسن صورة رآها وأطيبها ريحاً فيقول من أنت فيقول أما تعرفنى؟ فيقول لا. إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن وجهك. فيقول أنا عملك الصالح وهكذا كنت فى الدنيا حسن العمل طيبه فطالما ركبتك فى الدنيا فهلم اركبنى فيركبه[1].

وقد روى عن النعمان بن سعد عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال: أما إنهم مايحشرون على أقدامهم ولايساقون سوقاً ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثلها رحالها الذهب، وأزمتها الزبرجد فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة، وسمى المتقون (وفداً) لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه فهم لايتباطئون لكنهم يجدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشارات. قال الله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. فيزيدهم ذلك إسراعاً وحق للمتقين أن يسبقوا لسبقهم فى الدنيا بالطاعات.

(١) الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم، المنصورة، دار الوفاء، المجلد الثالث، ص١٣٧.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٤].

وروى مسلم عن أنس أن رجلاً قال يارسول الله: الذين يحشرون على وجوههم أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ «أليس الذى أمشاه على الرجلين قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».

قال أبوحامد: وذكر هذا الفصل وفى طبع الآدمى إنكار مالم يأنس به ولم يشاهده ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها لأنكر المشى من غير رجل، والمشى بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك. فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا فإنك لو لم تشاهد عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها. فاحضر رحمك الله فى قلبك صورتك، وأنت قد وقفت عارياً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظر لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء.

ويقول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]. فى هذه الآية أقسم الله بنفسه بعد إقامة الحجة بأنه يحشرهم من قبورهم إلى الميعاد كما يحشر المؤمنين والشياطين. أى ولتحشرن الشياطين قرناء لهم. قيل يحشر كل كافر مع شيطانه فى سلسلة. كما قال ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٢٢].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس حفاة عراة غرلا[١] قالت عائشة: الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك»[٢].

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً

(١) غرلاً: أى غير مختونين.
(٢) رواه البخارى ومسلم.

علينا إنّا كنا فاعلين ألا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، ألا وإنه يؤتى برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أصحابى فيقول: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨]. قال فيقال: إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم»[١].

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة، فقالت أم سلمة: فقلت: يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض، فقال: شغل الناس قلت ماشغلهم؟ قال: نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل»[٢].

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]. لوضح لنا رهبة وعظم هذا اليوم وقال ابن كثير فى تفسير هذه الآيات «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه. أى يراهم ويفر منهم ويبتعد عنهم لأن الهول عظيم والخطب جليل».

قال عكرمة: يلقى الرجل زوجته فيقول لها: ياهذه أى بعل كنت لك؟ فتقول نعم البعل كنت وتثنى بخير ما استطاعت، فيقول: لها فإنى أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لى لعلى أنجو مما ترين فتقول: له ما أيسر ما طلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذى تخاف. قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: يا بنى أى والد كنت لك؟ فيثنى بخير فيقول له: يابنى إنى احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى. فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكنى أتخوف مثل الذى تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً.

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الطبرانى.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تحشرون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم»[1]، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر[2] فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال[3]»[4].

أما عن صفة الأرض التى يحشر الناس عليها يوم القيامة فقد قال سهل بن سعد قال رسول الله ﷺ يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كفرصة نقى ليس فيها معلم لأحد[5] أى أن هذه الأرض ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر، ولا شيء من العلامات التى يهتدى بها فى الطرقات كالجبل والصخرة البارزة. وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة فيها والحكمة فى الصفة المذكورة، أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور وحق. فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذى يقع فيه ذلك ظاهراً عن عمل المعصية والظلم، ليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته. ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده مناسباً أن يكون المحل خالصاً له وحده»[6].

---

(١) رواه الترمذى.
(٢) الذر: دليل على صغرهم.
(٣) طينة الخبال: عصارة أهل النار، الجزء الثانى، ص٢٧٥ : ٢٧٦.
(٤) رواه أحمد والترمذى وحسنه الألبانى.
(٥) أخرجه البخارى ومسلم.
(٦) محمد فؤاد عبد الباقى. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الريان للتراث، ص٢٧٥، ٢٧٦.

صفة العرق فى أرض الحشر:

قال أبوحامد الغزالى: ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم، حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وشيطان ووحش وسبع وطير، فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها، ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون، فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها، ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام، وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السموات، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة. ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله.

قال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ «يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه»(١).

وقال أبوهريرة: قال رسول الله ﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ أذقنهم»(٢).

وعن المقداد رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدنوا الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم ابن عامر: والله ما أدرى ما يعنى بالميل مسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين - قال: فتكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.

كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة، فيقول: يارب ارحمنى ولو إلى النار».

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها كواعبها وأكوابها والذى نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقاً حتى يسبح فى الأرض قامته، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب، قالوا: مم ذلك يا أبانا عبد الرحمن قال: مما يرى الناس يلقون»[2].

فبعد أن علمت ذلك يا مسكين تعصى الواحد العليم. هيا واستعد ليوم عظيم شأنه المزيد زمانه. القاهر سلطانه، القريب آوانه. يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت. والبحار قد سجرت، والنفوس إلى الإبدان قد زوجت. والجحيم قد سعرت. والجنة قد أزلفت. والجبال قد نسفت. والأرض قد مدت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم: يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكةً واحدة. فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها. ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية. يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة. يوم ترج الأرض فيه رجاً وتبس الجبال بساً. فكانت هباءً منبثاً. يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون

(١) رواه مسلم والترمذى.
(٢) رواه الطبرانى.

الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. يوم تنسف فيه الجبال نسفاً فتترك قاعاً صفصفاً لا نرى فيها عوجاً ولا أمتاً. يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب. يوم تنشق السماء فتكون وردة كالدهان فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولا جان.

* * *

ثالثاً: من أسماء يوم القيامة:

ولعظم أمر الساعة أكثر الناس السؤال عنها لرسول الله ﷺ حتى أنزل الله عز وجل على رسوله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم وله نظائر، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى فى كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة.

وقيل: إن الله تعالى يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها فتوقف بين يدى الله تعالى ويوم الجمعة فيها زهراء مضيئة يعرفها الخلائق، فيوم القيامة يوم يتضمن الأيام كلها فسمى بكل حال يوماً فهو لله يوم، وللخلائق أيام فقد عرفت أيامهم فى يومه، وقد بطل الليل والنهار.

ومن أسمائها الساعة قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، والساعة كلمة يعبر بها فى العربية عن جزء من الزمان غير محدود، وفى العرف عن جزء من أربعة وعشرون جزءاً من يوم وليلة واللذين هما أصل الأزمنة، وقيل سميت الساعة لأنها تأتى بغتة فى ساعة.

ويمكن تفصيل بعض أسمائها فيما يلى:

١ - **يوم القيامة:** لقوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١]. وسميت بذلك.

أولاً: لقيام الخلق من قبورهم إليها قال تعالى ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣].

ثانياً: لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يوم يقوم أحدكم فى رشحه إلى نصف أذنيه» قال ابن عمر رضى الله عنهما يقومون مائة سنة.

ثالثاً: لقيام الروح والملائكة صفاً. قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا**﴾ [النبأ: ٣٨].

٢- **يوم القارعة:** سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها يقال: قد أصابتهم قوارع الدهر أى أهواله وشدائده.

٣- **يوم النشور:** وهو عبارة عن الأحياء: يقال: قد أنشر الله الموتى فنشروا أى أحياهم الله فحيوا ومنه قوله تعالى: ﴿**وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا**﴾ [البقرة: ٢٥٩]. أى نحييها وقد يكون معناه التفريق من ذلك قولك أمرهم نشر.

٤- **يوم الخروج:** قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا**﴾ [المعارج:٤٣]. فأوله الخروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار.

٥- **يوم العرض:** وذلك لعرض الناس على ربهم تبارك وتعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٨].

٦- **يوم الفزع:** وحقيقة ضعف النفس عن حمل المعانى الطارئة عليها خلاف العادة ومنه قوله تعالى: ﴿**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ**﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

٧ - **يوم النداء أو الدعاء:** والنداء على ثمانية وجوه.

الأول: نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع.

الثانى: نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة كما أخبر الله عنهم.

الثالث: يدعى كل أناس بإمامهم.

الرابع: نداء الملك ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لايشقى بعدها أبداً وإن فلان بن فلان قد شقى شقاوة لايسعد بعدها أبداً.

الخامس: النداء عند ذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

السادس: نداء أهل النار يا حسرتنا وياويلتنا.

السابع: قول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين.

الثامن: نداء الله تعالى أهل الجنة فيقول: يا أهل الجنة هل رضيتم؟.

فيقولون: وما لنا لانرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحد من خلقك. فيقول: أعطيتكم أفضل من ذلك رضائى.

٨ - **يوم الحساب:** ومعناه أن الله سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، ويعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخر للمشفوق بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر. قد قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ [**الإسراء**: ١٤٠].

٩- **يوم السؤال:** إن الله سبحانه وتعالى يسأل الخلق فى الدنيا والآخرة تقريراً الإقامة الحجة واظهار الحكمة قال الله تعالى: ﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ**﴾ [**البقرة**: ٢١١]. ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ**﴾ [**التكوير**: ٨].

١٠- **يوم الجدال:** قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا**﴾ [**النحل**: ١١١]. أى تخاصم وتحاج عن نفسها.

١١- **يوم الحاقة:** قال الله تعالى: ﴿**الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**﴾ [**الحاقة**:١-٣]. وسميت بذلك لأن الأمور تحق فيها. وقيل: سميت حاقة لأنها كانت من غير شك. وقيل سميت بذلك لأنها أحقت لأقوام النار.

١٢- يوم الوعيد: وهو أن البارى سبحانه أمر ونهى ووعد وأوعد فهو أيضاً يوم الوعيد والوعد للنعيم والوعيد وللعذاب الأليم، وحقيقة الوعيد هنا هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة. والوعد الخبر عن المثوبة عند الموافقة.

١٣- يوم الدين: وهو فى لسان العرب الجزاء قال الشاعر:

حصادك يوماً ما زرعت وإنما ... يدان الفتى فيه كما هو دائن

واعلم يقينا أن ملكك زائل ... واعلم بأنك كما تدين تدان

١٤- يوم التلاق: قال تعالى: ﴿يُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾ [غافر: ١٥]. وهو عبارة عن لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الممات فيسألونهم عن أهل الدنيا. أو لقاء العبد عمله. أو لقاء أهل السموات لأهل الأرض فى الحشر لقاء الخلق للبارى سبحانه وتعالى.

١٥- يوم المصير: وهو يوم المآب بعينه قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤٢]. فالخلق سائرون إلى أمر الله تعالى وآخر ذلك دار القرار وهى الجنة أو النار قال الله تعالى فى حق الكافرين: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم:٣١].

١٦- يوم مشهود: سمى بذلك لأنه: يشهده كل مخلوق وقيل سمى بذلك لأن الشهداء يشهدون فيه على ما يأتى والله أعلم.

١٧- يوم التغابن: سمى بذلك لأن الناس يتغابنون فى المنازل عند الله فريق فى الجنة وفريق فى السعير. وحقيقته فى لسان العرب: ظهور الفضل فى المعاملة لأحد المتعاملين والدنيا والآخرة دار العملين وحالين وكل واحد منهما لله ولا يعطى أحدهما إلا لمن ترك نصيبه من الآخرة وقال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

١٨- يوم الشخوص والإقناع: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. أى لاتغمض فيه من هول ما ترى فى ذلك اليوم. قال الفراء وقال ابن عباس رضى الله عنه: تشخص أبصار الخلائق

يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يغتمضون ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أى مديمى النظر.

قال مجاهد والضحاك: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [**إبراهيم**:٤٣]. أى رافعى رؤوسهم وإقناع الرأس رفعه. قاله ابن عباس ومجاهد وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لاينظر أحد إلى أحد. فإن قيل: فقد قال الله تعالى في غير هذه الآية ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [**المعارج**:٤٤]. وقال ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ [**القمر**:٧]. فيكف يكون الرافع رأسه الناظر نظراً طويلاً حتى أن طرفه لايرتد إليه خاشع البصر؟.

فالجواب أنهم يخرجون حال المعنى إلى الموقف خاشعة أبصارهم وفى هذه الحال وصفهم الله تعالى بخشوع الأبصار وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لا قلوب لهم، ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل ولايرتد إليهم طرفهم كأنهم قد نسوا الغمض أو جهلوه فهو تعسير عليهم.

١٩- **يوم الغاشية:** وسميت بذلك لأنها تغشى الناس بافزاعها. أى نعممهم بذلك. ومنه غاشية السرج. ومنها: فيومئذ لايعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقة أحد.

٢٠ - **يوم الفتنة:** قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [**الذاريات**: ١٣]. أى يعذبون من قولك فتنت الذهب إذا رميت به فى النار. يوم يمنع العاصى من الكلام، ولايسأل عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصى والأقدام. يوم تخرص فيه الألسن وتنطق الجوارح يوم شبيب ذكره سيد المرسلين أخا الإسلام لمثل هذا اليوم فليعمل العاملون.

اعلم أن كل ميت مات قامت قيامته، ولكنها قيامة صغرى وكبرى. فالصغرى هى ما يقوم على كل إنسان فى خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله. والقيامة الكبرى هى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة.

واعلم أن الساعة هى ذروة الغيب وعلمها المحجوب عن الكل والله أنذر بها الناس.

واعلم أن الحشر عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء فى ساعة واحدة تدعى عرصاتِ القيامة وذلك لفصل القضاء وهو الحكم فيما بينهم من أجل مجازاتهم.

واعلم أنه لو لم يكن بين يدى الموتى إلا هول النفخة فى الصور لكان جديراً بأن يتقى فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والأرض إلا مَنْ شاء الله.

واعلم أن أولياء الله الصالحين يحشرون على مراكب من نور إلى دار كرامته ومستقر رحمته بعكس الذين جحدوا نعمة الله وكفروا برسله فإنهم يساقون عنفاً إلى النار ورداً.

واعلم أننا نحشر يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً النساء مع الرجال ولاينظر بعضنا إلى بعض لأنَّ الأمر جليل والخطب جسيم.

واعلم أن يوم القيامة يجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس فتحترق القلوب بنار الحياء ويفيض العرق من أصل كل شعرة حتى يسيل على صعيد القيامة ثم يرتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله.

واعلم أن يوم القيامة يمنع العاصى من الكلام ولا يسأل عن الاجرام بل يؤخذ بالنواصى والأقدام إلى جهنم وبئس القرار.

ولقد تعدت أسماء يوم القيامة لأن كما هو معروف عند العرب كل ماهو عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم، فالقيامة عظم أمرها وكثرت أهوالها. سماها الله تعالى فى كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة.

* * *

الفصل الخامس

الشفاعة والخلد وجهنم

المبحث الأول :

الشفاعة بالأعمال الصالحة وشفاعة الرسول الكريم ﷺ .

المبحث الثاني :

دار الخلد والنعيم.

المبحث الثالث :

جهنم وبئس المصير.



أولاً: شفاعة النبى ﷺ والأعمال الصالحة فى الآخرة

معنى الشفاعة:

كما ذكرها أبو بكر الجزائرى فى كتابه عقيدة المؤمن، الاستشفاع والتشفع والشفاعة هذه الكلمات مدلولها واحد ومعناها لا يختلف وهو: أن يطلب إنسان من آخر التوسط له عند ذى ملك أو سلطان ليقضى له حاجته فى إعطائه ما هو فى حاجة إليه، أو فى التجاوز عنه فى ذنب قارفه، أو جريمة ارتكبها والكلمات الثلاث مشتقة من لفظ الشفع الذى هو خلاف الوتر -الفرد- وبيان ذلك إن صاحب الحاجة، كان واحداً فضم إليه الواسطة وهو من استشفع به، وطلب شفاعته فكان معه شفعاً أى اثنين بعد إن كان فرداً. من هذا المعنى أخذت كلمات الاستشفاع والتشفع والشفاعة.

* والشفاعة يوم القيامة تنقسم إلى قسمين، شفاعة منسية تماماً لا حقيقة لها، ولا واقع ولا وجود، وشفاعة ثابتة واقعة لها حقيقة ووجود. وللشفاعة المنفية صور منها:

١- شفاعة الآلهة التى عبدت من دون الله أو معه فهذه الشفاعة لا وجود لها البتة، وسواء كان المعبود المرجو الشفاعة ملكاً أو نبياً أو صالحاً، أو دون ذلك من الجن أو الشياطين أو الحيوانات أو الجمادات وذلك لقوله تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

ولأن من عبد غير الله تعالى مشرك كافر فلا شفاعة لكافر لقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقوله أيضا: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨].

٢- الشفاعة بدون إذن الله تعالى للشافع أو عدم رضاه عن المشفوع له وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والشفاعة المثبتة قسمان:

القسم الأول: شفاعات النبى محمد ﷺ.

القسم الثانى: شفاعات غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله.

ومن شفاعة النبى ﷺ الشفاعة العظمى فى فصل القضاء لقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة. عن رسول الله ﷺ أنه سئل أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال «صلاة الليل» ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فإن التهجد ما كان بعد نومه.

وقال الحسن البصرى هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما كان بعد النوم واختلف فى معنى قوله تعالى ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ فقيل معناه إنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك فجعلوا قيام الليل واجباً فى حقة دون الأمة. وقيل إنما يجعل قيام الليل فى حقه نافلة على الخصوص لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وغيره من أُمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التى عليه وقوله ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ أى افعل هذا الذى أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى.

قال ابن جرير قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذى يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

وقال ابن عباس هذا المقام المحمود مقام الشفاعة.

وقال قتادة هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذى قال الله تعالى ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قلت لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد وتشريفات لا يساويه فيها أحد فهو أول من تنشق عنه الأرض ويبعث راكباً إلى المحشر وله اللواء آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذى ليس فى الموقف أكثر وارداً منه، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتى لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول «أنا لها أنا لها».

فهذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هى المراد بقوله عليه السلام: «لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وأنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى»[1].

فهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنَّما هى ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهى الخاصة به ﷺ وقوله: «أقول يارب أمتى أمتى» اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم، وقوله: «فيقال يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه» يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته، فقد شرع فى حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم، وكان طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر فى ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود والذى وعده. ولذلك قال كل نبى: لست لها حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ فقال: «أنا لها».

---

(١) رواه البخارى ومسلم

ومما يدل على شفاعة النبى ﷺ يوم القيامة لأمته هذا الحديث الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثيا كل أمة تتبع نبيها نقول يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود[1].

وعن ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً. وهكذا رواه البخارى.

ولقد سئل النبى ﷺ عن قوله تعالى ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال هى الشفاعة.

ومن حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ سئل عنها قال: هى الشفاعة[2].

وورد بيان كيفية هذه الشفاعة فى الصحيحين فروى البخارى ومسلم واللفظ لمسلم عن أبى هريرة قوله: أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الزراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والأخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذ فيهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ من الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، ولا يتحملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أئتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله. وإنه نهانى

(١) رواه البخارى
(٢) رواه الترمذى

عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً عليه السلام، فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه قد كانت لى دعوة فدعوت بها على قومى. نفسى نفسى، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام. فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبى الله تعالى، وخليله من أهل الأرض أشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إنَّ ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وذكر كذباته، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى. اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله. فضلك الله تعالى برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إنّ ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنى قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسى نفسى، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس فى المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوننى، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله. وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر. اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله تعالى على، ويلهمنى من محامده. وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلى، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك سل تعط، اشفع تشفع، فارفع رأسى فأقول: يارب أمتى أمتى، فيقال: يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من

الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[(١)].

وعنه ﷺ قال: «لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً».

والقسم الثانى: من الشفاعة المثبتة: شفاعة الملائكة، والأنبياء والعلماء والشهداء فشفاعة الملائكة ثابتة لقوله تعالى:

﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ** ﴾ [**النجم**: ٢٦].

وأما شفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء فهى ثابتة بعموم القرآن وخصوص السنة ففى القرآن الكريم ﴿ **من ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ [**البقرة**: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ **لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا** ﴾ [**مريم**:٨٧]

فهذا دليل واضح على وجود شفعاء بمنطوق هذه الآيات ومفهومها. وفى السنة يقول الرسول ﷺ:

«يشفع يوم القيامة ثلاث: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»[(٢)].

وقوله ﷺ «يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته»[(٣)].

وصح أن القرآن الكريم يشفع لأهله كذلك لقول النبى ﷺ من حديث النواس بن سمعان الكلابى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تتقدمه سورة البقرة وآل عمران

(١) البخارى ومسلم (٦/ ١٠٥ - ١٠٧) مسلم (١/ ١٢٧ - ١٢٩)
(٢) رواه ابن ماجة.
(٣) رواه ابوداوود.

«وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أو ظللتان سوداوان بينهما شرت أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبها[1]وقال المصطفى ﷺ: «فإذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من العرش: يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيا لها من ساعة ما أعظم خوفها وما أشد حرها، يتقدم فيها من كان فى الدنيا ضعيفاً مهيناً، ويتأخر عنها من كان فى الدنيا عظيماً مسكيناً، ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدر أعمالهم فى ظلمتهم وأنوراهم، فإذا عصف الصراط بأمتى نادوا: وامحمداه، وامحمداه، فأبادر من شدة إشفاقى عليهم وجبريل آخذ بحجزتى، فأنادى رافعاً صوتى رب. أمتى . أمتى لا أسألك اليوم نفسى، ولا فاطمة ابنتى والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون: رب سلم سلم وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال وينادونهم: أما نهيتم عن كسب الأوزار؟ أما خوفتم عذاب النار؟ أما أنذرتم كل الإنذار؟ أما جاءكم النبى المختار[2] "ذكره أبو الفرج ابن الجوزى أيضا فى كتاب» روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق.

وقد قال أبو بكر جابر الجزائرى فى عقيدة المؤمن:

أن شفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء فى عقيدة المؤمن مقيدة بثلاثة قيود فلا تتم الشفاعة لعبد من عباد الله تعالى إلا بعد توفرها له وتلك القيود هى:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) القرطبى - التذكرة فى أحوال الموت والآخرة.

١ - أن لا يشفع أحد إلا بعد إذن الرب تبارك وتعالى له. وذلك لقوله تعالى ﴿ من ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- أن لا يشفع أحد فى آخر إلا إذا كان الله تعالى قد رضى عن المشفوع فيه بارتضائه قوله وعمله. وذلك لقوله عز وجل ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٣- أن لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر، وذلك لحكم الله تعالى بخلود الكافرين والمشركين فى النار بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦].

ولهذا وجب أن ينقطع طمع الله تعالى: فلا يطلب الشفاعة منه ولا يسألها من غير الله عز وجل، إذ الشفاعات كلها لله تعالى وليس لأحد سواه منها شىء قال تعالى ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤].

ومن أراد شفاعة النبى ﷺ فليسألها من الله تعالى، وليقل اللهم شفع فىَّ نبيك، أو اللهم ارزقنى شفاعة نبيك وليتبع سؤاله الشفاعة من الله تعالى بالعمل الموجب لها والمقتضى تحقيقها وهو يتلخص فى ثلاثة أمور:

١- الإخلاص لله تعالى فى العبادة ونفى الشرك عنه تعالى فى ربوبيته وأسمائه وصفاته وفى عبادته.

الحديث الصحيح «من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه». رواه البخارى.

٢- كثرة الصلاة لما صح عنه ﷺ إنه سأله أحد أصحابه مرافقته فى الجنة فقال له أعنى على نفسك بكثرة السجود. رواه مسلم.

٣- الصلاة على النبى ﷺ وسؤال الوسيلة له وذلك لحديث مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا علىَّ. فإنه من

صلى على صلاة.. صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة. لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة»[1]رواه مسلم

وفى النهاية من أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ ؟

هل كل المسلمين يستحقون الشفاعة؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ: ماذا رد إليك ربك فى الشفاعة؟ فقال: والذى نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألنى عن ذلك من أمتى لما رأيت من حرصك على العلم. والذى نفس محمد بيده ما يهمنى من انقصافهم على أبواب الجنة، أهم عندى من تمام شفاعتى، وشفاعتى لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه».[2]

ثانيا: دار الخلد والنعيم المقيم:

الطريق إليها:

يقول الشيخ أبو بكر الجزائرى: هذا هو الطريق أيها السائرون فإلى الجنة دار النعيم التى عرفها لكم

وهذا هو طريقها معبداً عليه أعلامه وفوقه أنواره وها أنتم فى مبتداه فسيروا حثيثاً إلى منتهاه حيث أبواب الجنة مفتحة أيها السالكون إليكم الطريق كما رسمه رسول الله ﷺ فى قوله:

١- «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[3].

(١) عقيدة المؤمن أبوبكر الجزائرى - المكتب الثقافى ص ١٦٦.

(٢) أخرجه أحمد.

(٣) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٢٧) وصححه الألبانى.

٢- وقوله: «كلكم يدخل الجنة إلا من أبى، قيل ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[1].

واسمحوا لى أن أتقدمكم رائدا لكم لأصف طريقكم إلى جنة ربكم ودار إقامتكم وكرامتكم إن الطريق أيها الأخوة السائرون بين أربع كلمات: اثنتان سالبتان واثنتان موجبتان.

فالسالبتان: الشرك والمعاصى.

والموجبتان: الإيمان والعمل الصالح.

من هذه الكلمات الأربع يتكون الطريق القاصد إلى الجنة دار الإقامة والكرامة.

وها هو ذا قد أشير إليه بكلمتى لا إله إلا الله محمد رسول الله، إذ الأولى تعنى إنه لا معبود بحق إلا الله الغفور الودود، فليعبد وحده بالإيمان واليقين والطاعة له ولرسوله بالصدق والإخلاص الكاملين والثانية تعنى أن النبى محمداً ﷺ هو الرسول الخاص ببيان كيف يعبد الله وحده فى هذه الأكوان وأنه لا يتأتى لأحد أن يعبد الله بدون إرشاده ﷺ وبيانه.

والآن أيها الأخوة السائرون فلنسلك الطريق مسترشدين بإشارة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

فلنعقد جازمين أن خالقنا هو الذى خلق هذه العوالم ودبرها بقدرته وعلمه، ومشيئته وحكمته، وفيها تجلت صفاته العلى وأسماؤه الحسنى، فبقدرته تعالى كانت هذه الأكوان، وبعلمه تعالى اتحد وجودها، وانتظم، شأنها وسارت إلى غايتها فى نظام محكم بديع ولنعتقد جازمين إنه لا وجود لمشارك لله تعالى فى خلق هذه العوالم ولا مدير لها معه سواه، إذ لو كان ذلك لظهر فى العوالم التضارب والتناقض ولأسرع إليها الفناء والزوال.

---

(١) رواه البخارى (١٣/ ٢٤٩) فتح.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢]

ولنعتقد جازمين إنه متى لم يكن معه تعالى شريك فى الخلق والتدبير فإنه لا يكون له شريك فى الطاعة والعبادة، فلا ينبغى أن يعبد معه أحد أبدا سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً. أو دون ذلك: من سائر المخلوقات وسواء كانت العبادة صلاة أو دعاء أو صوماً أو ذبحاً، أو زكاة أو نذراً أو طاعة فى معصيته تعالى بتحريم ما أحل أو تحليل ما حرم أو بترك ما أوجب أو فعل ما حرم.

ولنعتقد جازمين أن حاجة الناس إلى الرسل فى بيان الطريق إلى الجنة اقتضت إرسالهم وإنزال الكتب عليهم ومن هنا وجب تصديق كافة الرسل واتباعهم ووجب الإيمان بالكتب والعمل بما فيها مما لم ينسخه الله تعالى بغيره من الشرائع والأحكام كما وجب الإيمان بالملائكة والقدر والمعاد والحساب والجزاء. بهذه النقاط الأربع المشتملة على الإيمان، الصحيح كنا قد قطعنا ربع الطريق إلى الجنة أيها السائرون فإلى الربع الثانى وهو العمل الصالح.

فلتقم الصلاة بأن تتطهر لها طهارة كاملة، وتؤديها فى أوقاتها فى جماعة آداء وافياً مستوفياً كافة الشروط والفرائض والسنن والآداب فتوافق بها صلاة رسول الله ﷺ حيث قال «صلوا كما رأيتمونى أصلى»(١).

ولنؤدى زكاة أموالنا لأهلنا من الفقراء والمساكين والغارمين والمجاهدين ولنتحر فى إخراجها الجودة والكمال والإخلاص الكامل فيها لله تعالى ولنصم رمضان بالإمساك عن المفطرات والبعد عن المتشابهات والمحرمات فى الأقوال والأفعال والخواطر والنيات. ولنحج بيت الله حجاً كحج رسول الله ﷺ موسوماً بالبرور وذلك بأدائه أداءً صحيحاً خالياً من الرفث والفسوق والجدال محفوفاً بالخيرات مفعماً بالصالحات.

---

(١) رواه البخارى.

ولنبر الوالدين بطاعتهما فى غير معصية الله، وبالإحسان إليهما ببذل المعروف وإسداء الجميل من القول والفعل، مع كف الأذى عنهما ولو كان ضجراً منهما وعدم رضا عنهما.

ولنصل أرحامنا ببرهم وزيارتهم، والسؤال عنهم والتعرف إلى أحوالهم ومساعدتهم بما فى القدرة وماهو مستطاع.

ولنحسن إلى الجيران بإكرامهم المتمثل فى الإحسان إليهم وكف الأذى عنهم. ولنكرم الضيف إكرامه الواجب له بإطعامه وايوائه.

ولنكرم المؤمن بتحقيق أخوته القائمة على أساس آداء حقوقه من السلام عليه عند ملاقاته وتشميته عند عطاسه.. وتشييع جنازته عند مماته وعيادته إذا مرض، وإبرار قسمه إذا أقسم.

ولنعدل فى القول والفعل والحكم إذ العدل فى الكل واجب محتم وبه يستقيم أمر الدين والدنيا، ويصلح شأن العباد والبلاد.

وإلى هنا تم نصف الطريق أيها السائرون ولم يبق إلا نصفه الآخر والذى هو ترك الشرك والمعاصى.

١- بأن لا نعتقد أن مخلوقاً من المخلوقات كائناً من كان يملك لنفسه أو لغيره ضراً أو نفعاً بدون مشيئة الله وإذنه، وعليه فلنحصر رغبتنا فى الله فلا نرغب فى أحد سواه فلا تسأل مخلوقاً ولا نستشفع أو نستغيث بآخر، إذ لا معطى ولا مغيث إلا الله فلنقصر رغبتنا فيه، ورهبتنا وخوفنا منه.

٢- بأن لا نصرف شيئاً من عبادة الله تعالى إلى أحد سواه، فلا تحلف بغير الله، ولاتذبح على قبر ولى من أولياء الله، ولاتنذر لغير الله، ولا ندعو غير الله ولا نستغيث بسواه.

٣- وبأن لا نعلق خيطاً أو عظماً أو حديداً نرجو بها دفع العين أو كشف الضر فإنه لايدفع العين، ولا يكشف الضر إلا الله.

٤- وبأن لا نصدق كاهناً أو عرافاً أو منجماً فيما يخبر به ويدعيه من علم الغيب. إذا لا يعلم الغيب إلا الله.

٥- وبأن لا نطيع حاكماً أو عالماً. أو أباً أو أماً، أو شيخاً فى معصية الله، إذ طاعة غير الله بتحريم ما أحل الله، أو تحليل ماحرم شرك فى ربوبية الله.

بهذه الخطوات الخمس أيها السائرون قد قطعنا نصف المسافة المتبقية ولم يبق إلا نصفها الآخر وهو ترك المعاصى وبعدها نصل إلى باب الجنة وندخلها إن شاء الله مع الداخلين فهيا بنا نواصل سيرنا أيها السالكون.

فلنحفظ الدماغ فلا نفكر فيما يضر، ولا ندبر ما يسوء من فساد أو شر، ولنحفظ السمع فلا نسمع باطلاً من سوء أو فحش أو كذب، أو غناء، أوغيبة أو نميمة، أو هجر، أو كفر.

ونحفظ البصر فلا نسرحه فى النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من أجنبية غير محرمة مسلمة أو كافرة، عفيفة أو فاجرة.

ونحفظ اللسان فلا ننطق بفحش أو بذاء، ولا سوء أو كذب، أو زور، أو غيبة أو نميمة، أو سب، أو شتم، أو لعن من لا يستحق اللعنة.

ونحفظ البطن فلا ندخل فيه حراماً طعاماً كان أو شراباً فلا نأكل ربا ولا ميتة ولا خنزيراً، ولا نشرب مسكراً، ولا ندخن تبغاً.

ونحفظ الفرج فلا نطأ غير زوجة شرعية أو مملوكة سرية أباح الله وطأها وأذن فيه.

ونحفظ اليد فلا نؤذى بها أحداً بضرب أو قتل، ولا نأخذ بها مالاً حراماً ولا نلعب بها ميسراً ولا نكتب بها زوراً أو باطلاً.

ونحفظ العهد، والشهادة والأمانة. فلا نحفز ذمة ولا ننكث عهداً ولا نخلف وعداً، ولا نشهد زوراً، ولا نخون أمانة.

نحفظ المال فلا نبذره، ولا نسرف فيه، كما لانهمله، ولا نضيعه أو نتركه بدون إنماء أو إصلاح.

ونحفظ الأهل والولد فى أبدانهم وعقولهم وأخلاقهم وعقائدهم فندفع عنهم مايؤذيهم أو يضرهم أو يفسد أرواحهم، أو عقولهم وندرأ عنهم كل مايروى أو يهلك ولا يشقى.

وإلى هنا انتهى الطريق، أيها السائرون فدونكم الجنة دار السلام فتهيأ للدخول منتظرين رسل ربكم متى تصل إليكم حاملة استدعاء ربكم المنعم الكريم لتفدوا عليه وتحطوا الرحال بساحته ويومها يفرح المتقون[1].

* * *

---

(١) الطريق إلى الجنة.

سابقوا إلى الجنة:

ما أوسع دار المتقين. وما أطيب ريحها!!

إن عرضها كعرض السموات والأرض. وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام إذ قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال سبحانه أيضاً فى سعة هذه الدار الربانية ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من خاف أولج ومن أولج بلغ المنزل إلا أن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[١].

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «حجبت النار بالشهوات - وحجبت الجنة بالمكاره».

قال الإمام النووى: قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التى أُتيها ﷺ من التمثيل الحسن. ومعناه: لايوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره وإلى النار بارتكاب الشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما.

فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب. فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد فى العبادات، والمواظبة عليها والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة والإحسان إلى المسىء، والصبر عن الشهوات، ونحو ذلك.

وأما الشهوات التى النار محفوفة بها، فالظاهر إنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والنظر إلى الأجنبية والغيبة. واستعمال الملاهى ونحو ذلك.

(١) متفق عليه.

وأما الشهوات المباحة فلا تدخل فى هذه لكن الإكثار منها مخافة أن يجر إلى المحرمة أو يقسى القلب أو يشغل عن الطاعات، أو يموج إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا للصرف فيها ونحو ذلك.

ريح الجنة:

ريح الجنة نوعان: ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لاتدركه العباد، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان، كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قرب وبعد، وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»(٢).

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»(٣).

وقد أخرجا فى الصحيحين من حديث أنس قال: لم يشهد عمى مع رسول الله ﷺ بدراً، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، فإن أرانى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، قال: تهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: وها ريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد فى جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية.

---

(١) ابن القيم الجوزية - حادى الأرواح - إحياء الكتب العربية ص١٥٤.
(٢) رواه البخارى (٦/٢٦٩ فتح)
(٣) رواه ابن ماجة.

فقالت أخته عمتى الربيع ابنة النضر: فما عرفت أخى إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فقال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه. إن هذا الصحابى من الرعيل الذى رباهم النبى ﷺ يرى ريح الجنة، فى الجهاد وفى استشهاده غفر الله لنا وله وأسكنه فسيح جناته.

أبواب الجنة:

إن للجنة دار النعيم لثمانية أبواب أحدهما يسمى الريان، وهو خاص بالصائمين ومنها باب خاص بالذين لا يحاسبون من أمة محمد ﷺ.

وأبواب الجنة فى غاية الوسع، والكبر حتى إن ما بين مصراع الباب مسيرة أربعين سنة، ومع هذا الوسع فسوف تكتظ بأفواج الداخلين فيها، وتزدحم وقد علم أن حلق تلك الأبواب مكونة من ياقوت أحمر، قائمة على صفائح من ذهب فقد روى مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ قوله: «إن ما بين مصراعين من مصارع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام»(١).

وقال الله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

فها هو الاستقبال الطيب والثناء المستحب وبيان السبب ﴿طِبْتُمْ﴾ وتطهرتم كنتم طيبين وجئتم طيبين فما يكون فيها إلا الطيب. وما يدخلها إلا الطيبون وهو الخلود فى ذلك النعيم. هنا تهيم أصوات أهل الجنة بالتسبيح والتحميد

---

(١) رواه مسلم.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤]. «فهذه هى الأرض التى تستحق أن تورث. وهم يسكنون فيها حيث شاءوا وينالون منها الذى يريدون»(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٤٩ - ٥١].

وقال ابن القيم الجوزية فى كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح فى هذه الآية قال: تجد معنى بديعاً وهو إنهم دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هى: إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم فى الجنة حيث شاءوا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم كل وقت وأيضاً أشار إلى أنها دار أمن لايحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة».

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: «بأبى أنت وأمى يارسول الله ما على من دعى من تلك الأبواب من شرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم»(٢).

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده

---

(١) سيد قطب - ظلال القرآن - دار الشريف المجلد الخامس. ص ٣٠٦٣

(٢) رواه البخارى ومسلم (٤/ ١١١).

لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

وعن خالد بن عمير قال: «خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم، وولت حذا، ولم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير مايحضرنكم ولقد ذكر لنا أن مابين مصراعين من مصارع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ولقد رأيتنى سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا»[1].

وعن أبى هريرة قال: وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قطعة من ثريد ولحم فتناول الزراع - وكان أحب الشاه إليه - فنهش.

وقال أنا سيد الناس يوم القيامة. فلما رأى أصحابه لايسألونه، قال: ألا تقولون كيف؟ قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر. فذكر حديث الشفاعة بطوله. وقال فى آخره فانطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى. فيقيمنى رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلى ولن يقمه أحداً بعدى، فأقول: يارب أمتى أمتى فيقول يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذى نفس محمد بيده أن ما بين المصراعين من مصارع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة[2] .وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال الجنة لها ثمانية أبواب. والنار لها سبعة أبواب[3].

(١) رواه مسلم.
(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص٥٧ لابن القيم الجوزية دار إحياء الكتب العربية.
(٣) رواه أحمد وصححه الألبانى.

أول من تفتح له أبواب الجنة:

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»[1].

وروى مسلم فى صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد. فيقول: بلى، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»[2].

وعنه أن النبى ﷺ قال: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها» (اقعقعها: أحركها)[3].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وقائدهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدى، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدى، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربى ولا فخر، يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون»[4].

وقد روى أبوهريرة رضى الله تعالى عنه. عنه ﷺ: «أنا أول من يفتح الجنة إلا أن امرأة تبادرنى فأقول لها مالك ومن أنت فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى»[5].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه أحمد والترمذى
(٤) رواه الترمذى.
(٥) نقلاً عن حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم الجوزية ص١٠٥.

صفة دخول المؤمنين الجنة:

إن دخول الجنة سيكون قطعاً على فترات متتالية. وقد يبعد ما بين الفترة والأخرى إذا صح أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل ذوى الحظوظ بخمسمائة عام(١).

وذلك لعدم ما يستلزم وقوفهم طويلاً فى ساحة فصل القضاء، وموقف الحساب بخلاف أهل الحظ والغنى. فإنهم يسئلون عن غناهم ماذا فعلوا فيه.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢، ٤٣]

وفى الصحيحين من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أول زمرة(٢) يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة، لا يبدلون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون. أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم(٣) الألوة»(٤).

وأزواجهم الحور العين. أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً فى السماء(٥).

قال أبوبكر الجزائرى فى عقيدة المؤمن:

---

(١) رواه أبوداوود.

(٢) أول زمرة: أول جماعة.

(٣) مجامرهم: المجمر هو الذى يوضع فيه النار للبخور.

(٤) الألوة: عود الطيب.

(٥) رواه البخارى

إن هذا التفاوت بين أهل الجنة فى دخولهم وحسن هيئتهم وجمال وجوههم وحسن هيئتهم عائداً إلى تفاوت أعمالهم فى الدنيا فى كمياتها وكيفياتها وهو أمر من الوضوح بحيث لا يخفى على ذى لب، ففى الدنيا تكتسب النفس البشرية حسنها وجمالها من إيمان صاحبها، وأعماله الصالحة وفى الآخرة يكتسب جمال الذات، وكمال النعيم من نفس الزكاة الروحية التى كانت لها نتيجة إيمانها، وصالح أعمالها فى الحياة الدنيا.

وتستقبل الملائكة ونورالرحمن عند دخولهم إلى دار السلام وأول المستقبلين هو رضوان خازن الجنان، ثم الملائكة الموكلون بنعيم الجنة وأهله. لقوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. وقوله أيضاً: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم. وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»[١].

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة جرداً [٢] مرداً [٣] مكحلين[٤] بنى ثلاث وثلاثين».

---

(١) رواه البخارى (٦/٣٦٢) فتح.
(٢) الجرد: جمع أجرد وهو من لاشعر له على جسده.
(٣) المرد: جمع أمرد وهو من لا شعر له على وجهه.
(٤) الكحل: جمع أكحل وهو الذى اسودت عينه كأنهما فيها الكحل.

ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:٨- ٤٠].

وتفسير هذه الآيات كما جاء فى المنتخب «فأصحاب اليمين أهل المنزلة العظيمة ما أعظم مكانتهم وأصحاب الشمال أهل المنزلة الدنية ما أسوأ حالهم. والسابقون إلى الخيرات هم السابقون إلى الدرجات فى الآخرة أولئك المقربون عند الله تعالى يدخلهم ربهم جنات النعيم. هؤلاء المقربون جماعة من الأمم السابقة وأنبيائهم وقليل من أمه محمد بالنسبة إليهم هؤلاء على سرر منسوجة بالجواهر النفيسة مضجعين عليها فى راحة واستقرار متقابلة وجوههم زيادة فى المحبة. يدور عليهم للخدمة ولدان باقون أبداً على هذا الوصف. بأقداح وأباريق مملؤة من شراب الجنة وبكأس مملؤة خمراً من عيون جارية. لا يصيبهم بشربها صداع يصرفهم عنها ولا تذهب عقولهم. وفاكهة. من أى نوع يختارونه ويرونه. ولحم طير مما ترغب نفوسهم ونساء ذوات عيون واسعة كأمثال اللؤلؤ المصون فى صدفة صفاءً ورونقاً. يعطون هذا الجزاء بما

عملوا من الصالحات فى الدنيا. لا يملون فى الجنة كلاماً لا ينفع. ولا حديثاً يأثم سامعة إلا قول بعضهم لبعض. فسلم سلاماً. وأصحاب اليمين لا يعلم أحدا ما جزاء أصحاب اليمين هؤلاء فى شجر من النبق مقطوع شوكة وشجر من الموز متراكب ثمره بعضه فوق بعض، وظل منبسط لا يذهب وماء منصب فى آنيتهم حيث شاؤه. وفاكهة كثيرة الأنواع والأصناف لا مقطوعة فى وقت من الأوقات ولا ممنوعة عمن يريدها وفرش عالية ناعمة. وخلقنا الحور العين أبكاراً مهيئات لنعيم أصحاب اليمين».

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أن موسى عليه السلام سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجىء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت ربى، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال فى ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها، فلم ترى عين، ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر.(١)

ويقول عز وجل ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [**التوبة**:٧٢]

عن أبى عمر رضى الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة فقال: «من يدخل الجنة يحيى فيها فلا يموت، وينعم فيها بما لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، قيل يارسول الله ما بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك، وترابها الزعفران وحصياؤها اللؤلؤ والياقوت»(٢).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الطبرانى.

وقال الله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠]

فأخبر الله هنا أنها غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفا مبنية كالعلالى بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر إليها عياناً، ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية أى لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها.

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤ واحدة مجوفة، طولها فى السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»(١).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائه عام لا يقطعها إن شئتم فاقرؤا ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣٠، ٣١]»(٢).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها»(٣).

وتأمل قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ١٧ – ٢٤].

(١) رواه البخارى (٨/ ٦٢٤ فتح) ومسلم.
(٢) رواه البخارى ٣٠ ، ٣١.
(٣) رواه البخارى (١١/ ٤١٦ فتح) ومسلم.

وعن جابر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يأكلون ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، قالوا فما بال الطعام قال: جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس»[1].

وتدبر قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

يقول سيد قطب فى تفسير هذه الآية: تلك الثمار المتشابهة التى يخيل إليهم أنهم رزقوها من قبل- إما ثمار الدنيا التى تشبهها بالاسم أو الشكل. وإما ثمار الجنة التى رزقوها من قبل فربما كان هذا التشابه الظاهرى من شىء جديد!.. وهكذا يبدو التنوع فى صنعة البارىء هائلاً يدير الروؤس: التنوع فى الأنواع والأجناس... والتنوع فى الأشكال والسمات والتنوع فى المزايا والصفات.. كله.. كله مردة إلى الخلية الواحدة المتشابهة التكوين والتركيب فمن ذا الذى يعبد الله وحده، وهذى آثار صنعته، وآيات قدرته؟ ومن ذا الذى يجعل لله أنداداً ويد الإعجاز واضحة الآثار فيما تراه الأبصار، وفيما تدركه الأبصار.

انظر وتأمل ماذا أعد الله لعبادة فى الجنة: قال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦].

---

(١) رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ١٧ - ٢٤].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لغدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضوع قيده- بعين سوطه- من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولأضاءت ما بينهما ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(١).

ويكفى أهل الجنة نعيما أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى وينظر إليهم حيث قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وعن صهيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة، وتنجينا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦](٢).

(١) رواه البخارى (٦/ ١٥ فتح).
(٢) رواه مسلم.

مَنْ يدخل الجنة بغير حساب:

ثبت في الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتى زمرة سبعون ألفاً تضيء وجوهم إضاءة القمر ليلة البدر». فقال عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمره عليه، فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اجعله منهم فقام رجل من الأنصار، فقال يا رسول الله. ادع الله أن يجعلنى منهم. فقال: سبقك بها عكاشة»[1].

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»

وفى صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب قيل: ومن هم؟ قال الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

ذكر أبو نعيم عن على بن الحسين رضى الله عنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أيكم أهل الفضل؟ فيقول: ناس من الناس. فيقال: انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم. قالوا: من أنتم: قالوا: أهل الفضل. قالوا: ما كان فضلكم؟ قالوا: لنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسر علينا غفرنا. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. ثم ينادى مناد ليقم أهل الصبر. فيقول لهم مثل ذلك. فيقولون: نحن أهل الصبر قالوا: وما كان صبركم قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معاصى الله. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. فقال: ثم ينادى مناد ليقم جيران الله

(١) رواه البخارى ومسلم.

فيقوم ناس من الناس وهم قليل فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك قالوا: ولم جاورتم الله فى داره؟ قالوا: كنا نتزوار فى الله ونتجالس فى الله ونتبادل فى الله عز وجل قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين»[1].

آخر أهل الجنة دخولا:

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة؛ فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقون، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: ربنا فيدعوهم، ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان قالوا: نعم قال فإنها مثل شوك السعدان غير إنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخرول ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل آثار السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل وجهه قبل النار، فيقول: يارب اصرف وجهى

(١) القرطبى - التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة - دار الريان ص٤٣٥.

عن النار قد قشبتنى ريحها، وأحرقنى ذكاها، فيقول هل عسيت أن أفعل أن تسأل غير ذلك فيقول: لا وعزتك، فيعطى الله ما شاء من عهود وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار؟ فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يارب قدمنى عند باب الجنة فيقول الله: أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذى كنت سألت. فيقول: يارب لا أكون أشقى خلقك، فيقول فما عسيت أن أعطيتك ذلك أن لا تسأل غيره فيقول: لا وعزتك لا أسأل فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق، يقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يارب أدخلنى الجنة فيقول الله: ويحك يا ابن آدم ما أعذرك أليس قد أعطيتنا العهود ألا تسأل غير الذى أعطيت؟ فيقول: يارب لا تجعلنى أشقى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله، تمن كذا وكذا يذكره رب حتى إذا انتهت به الأمانى قال الله: لك ذلك ومثله معه وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة»[1].

---

(١) رواه البخارى (٢/ ٢٩٢) ومسلم.

شعر فى وصف الجنة

وما ذاك إلا غيره أن ينالها ... سوى كفئها والرب بالخلق أعلم

وإن حجبت عنها بكل كريهة ... وحضت بما يؤذى النفوس ويؤلم

فلله ما فى حشوها من مسرة ... وأصناف لذات بها يتنعم

ولله يرد العيش بين خيامها ... وروضاتها والثغر فى الروض يبسم

ولله واديها الذى هو موعد المز ... يد لوفد الحب لو كنت منهم

بذلك الوادى يهيم صبابة ... محب يرى أن الصبابة مغنم

ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم

ولله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم

ولله كم من خيرة أن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم

فيا لذة الأبصار إن هى أقبلت ... ويا لذة الأسماع حين تكلم

ويا فجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ... ويا فجلة الفجرين حين تبسم

فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ... فلم يبق إلا وصلها لك مرهم

ولاسيما فى لثمها عند صنعها ... وقد صار منها تحت جيدك معصم

تراه إذا أبدت له حسن وجهها ... يلذ به قبل الوصال وينعم

تفكه منها العين عند اجتلائها ... فواكه شتى طلعها ليس يعدم

عناقيد من كرم وتفاح جنة ... ورمان أغصان به القلب مغرم

وللورد ما قد ألبسته خدودها ... وللخمر ما قد ضمه الريق والفم

تقسم منها الحسن فى جمع واحد ... فيا عجباً من واحد يتقسم

لها فرق شتى من الحسن أجمعت بجملتها إن السلو محرم
تذكر بها الرحمن من هو ناظر فينطق بالتسبيح لا يتعلثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها تولى على أعقابه الجيش يهزم
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً فهذا زمام المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها تيقن حقاً أنه ليس يهرم
وكن مبغضاً للخائنات لحبها فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيما ممن سواها فإنها لمثلك فى جنات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك فى غد تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص فما فاز باللذات من ليس يقدم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ولم يك فيها منزل لك يعلم
فمر على جنات عدن فإنها منازلنا الأولى ومنها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى فعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأى اغتراب فوق غربتنا التى لها أضحت الأعداء فينا تحكم
وحى على السوق الذى فيه يلتقى المحبون ذاك السوق للقوم يعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحى على يوم المزيد الذى به زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحى على واد هنالك أفيح وتربته من أذفر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة ومن خالص القيان لاتنقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا لمن دون أصحاب المنابر يعلم

فبيناهم فى عيشهم وسرورهم وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له بأقطارها الجنات . لايتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم بآذانهم تسليمه إذ يسلم
يقول سلونى ما اشتهيتهم فكل ما تريدون عندى أننى أنا أرحم
فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا فأنت الذى تولى الجميل وترحم
فيعطيهم هذا ويشهد جمعهم عليه تعالى الله فالله أكرم
فيا بائعا هذا ببخس معجل كأنك لاتدرى بل سوف تعلم
فإن كنت لاتدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

* * *

ثالثاً: جهنم وبئس المصير:

أولاً: الاستعاذة من النار:

إن دار البوار هى النار وهى عبارة عن عالم الشقاء ذات دركات، دركة تحت الأخرى إلى نهايتها وهى سبع تتفاوت فى شدة عذابها أخفها عذاباً أعلاها، وأشدها أسفلها، ولكل دركة اسمها الخاص بها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقوله أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧، ٢٨].

وقوله أيضاً: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٥، ١٦].

وأما الأحاديث النبوية التى تدعو إلى الاستعاذة من النار نذكر منها عن ابن مسعود رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: قولوا: «اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال. وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[1].

وحديث أنس رضى الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبى ﷺ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١][2].

---

(١) رواه مسلم (٥/ ٨٩) نووى.

(٢) رواه البخارى (٨/ ١٨٧ فتح).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار يارب إن عبدك فلاناً استجار منى فأجره، ولا سأل الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة يارب إن عبدك فلاناً سألنى فأدخله الجنة»(١).

الترهيب من النار:

وها: هى ذى جهنم قد جيء بها، وبرزت للناس فى عرصات القيامة قال الله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣].

إن الانقلاب الكونى الذى يتم، وتتبدل فيه الأرض غير الأرض، والسموات غير السموات ويبرز للناس فيه الله الواحد القهار. يفاجأ الإنسان بالنار يوم القيامة وقد برزت، حيث يجاء بها تجر بالأزمة ويسمع لها تغيظ وزفير. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»(٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعم وخص فقال: «يابنى كعب بن لؤى انقذوا أنفسكم من النار، يابنى مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار، يابنى عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار يافاطمة انقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً»(٣).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(٤).

---

(١) قال المنذر فى الترغيب.
(٢) رواه البخارى (١١/ ٤١٧ فتح).
(٣) رواه البخارى (٨/ ٥٠١ فتح). ومسلم.
(٤) رواه مسلم (١٧/ ١٧٩ نووى).

ما أعده الله للعصاة فى جهنم:

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]. قال ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية: ﴿كَلاَّ﴾«أى لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهباً أو من ولده الذى كان فى الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يقتدى من عذاب الله ولا يقبل منه. ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ وصف للنار وشدتها. ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ تشوى الوجوه والجلود وقال الحسن تحرث كل شىء فيه ويبقى فؤاده يصيح. ثم تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها وقدر لهم فى الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أى كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه.

وقال أيضاً الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٧ - ٢٩]. يريد ربنا تبارك وتعالى هنا أن يوضح نموذج من نار جهنم فيقول سأدخله جهنم ليحترق بها وما أدراك ما جهنم لا تبقى لحماً ولا تترك عظماً إلا أحرقته مسودة لأعالى الجلد، عليها تسعة عشر يولون أمرها وتعذيب أهلها.

وقال ميمون بن مهران: لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة فلم يبق فى السموات السبع ملك إلا خرَّ على وجهه فقال لهم الجبار جل جلاله: ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أنى خلقتكم لطاعتى وعبادتى وخلقت جهنم لأهل معصيتى من خلقى. فقالوا: ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ناركم هذه ما يوقد بنو آدم واحد من سبعين جزء من نار جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية، قال: إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»[1].

وعنه أيضاً أن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاء فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه قال: وعزتك لايسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها، فقال وعزتك لقد خفت أن لايدخلها أحد، وقال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هى يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزتك لايسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لاينجو منها أحد»[2].

وروى أن سلمان الفارسى لما سمع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣]. فر ثلاثة أيام هارباً من الخوف لايعقل فجىء به إلى النبى ﷺ فسأله فقال يارسول الله. أنزلت هذه الآية قوله عز وجل ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فوالذى بعثك بالحق نبياً لقد قطعت قلبى فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥].

أما عن لون جهنم فقد قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

القطران: هو ما يسمى بالقار أو الزفت.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهى سوداء كالليل المظلم»[3].

---

(١) رواه البخارى (٦/ ٣٣٠ فتح) ومسلم (١٧/ ١٧٩).
(٢) رواه أبوداود والنسائى والترمذى.
(٣) رواه الترمذى.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أترونها حمراء كناركم هذه؟ لهى أسود من القار»(١).

وأما عن قعرها فهو بعيد..

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وعن الحسن البصرى رحمة الله عليه قال: وكان عمر بن الخطاب يقول: «أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها الحديد»(٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «كنا عند النبى ﷺ فسمعنا وجبة، فقال النبى ﷺ: أتدرون ماهذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر أرسله الله فى جهنم منذ سبعين خريفاً. فالآن حين انتهى إلى قعرها»(٣).

وأما عن شرابهم. قال تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ: «إن الحميم لينصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان»(٤).

وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة، فإن مات مات كافراً، فإن

---

(١) رواه مالك فى الموطأ.

(٢) رواه الترمذى

(٣) رواه مسلم (١٧/١٧٩ نووى).

(٤) رواه الترمذى.

عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال. قيل: يارسول الله وما طينة الخبال؟ قال: صديد أهل النار»[1].

أما عن طعام أهل النار. قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه»؟!‏[2].

هذا هو طعام أهل النار طعام يقف فى الحلقوم لا ينزل ولا يخرج.

وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦]. أى: ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب ولا شفيع يطاع.

ولا طعام له هاهنا إلا من غسلين قال قتادة: هو شر طعام أهل النار.

أما عن أهون أهل النار عذاباً. فعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه»[3].

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وانه لأهونهم عذاباً»[4].

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن.
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) رواه مسلم (٣/ ٨٦) نووى.
(٤) رواه الطبرانى

أما عن بكاء أهل النار وصراخهم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١١ - ١٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: «إن أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يقول: إنكم ماكثون، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]. فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق»[(١)].

عن عبد الله بن قيس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن فى دموعهم لجرت وإنهم ليبكون الدم - يعنى - مكان الدمع»[(٢)].

وتأمل قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. قال سيد قطب فى تفسير هذه الآية. ففيم هذا الجمع بين الناس والحجارة، فى هذه الصورة المفزعة الرهيبة؟ لقد أعدت هذه النار للكافرين الذى وصفهم القرآن بأنهم كالحجارة وأن تبدو أصوارهم فى صورة آدمية من الوجهة الشكلية، فهذا الجمع بين الحجارة من الحجر والحجارة من الناس هو الأمر المنتظر. على أن ذكر الحجارة هنا يومى إلى النفس بسمة

---

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) سيد قطب فى ظلال القرآن - طبعة دار الشروق - الجزء الأول - ص٤٩.

أخرى فى المشهد المفزع. مشهد النار تأكل الأحجار ومشهد الناس الذين تزحمهم هذه الأحجار فى النار»[1].

وقال بلال كان النبى ﷺ يصلى فى مسجد المدينة وحده، فمرت به أعرابية فصلت خلفه ولم يعلم بها فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. فخرت الأعرابية مغشياً عليها وسمع رسول الله ﷺ: وجبتها - وقعتها على الأرض - فانصرف ودعا بماء فصب على وجهها حتى أفاقت وجلست فقال النبى ﷺ: يا هذه مالك؟ فقالت هذى شىء من كتاب الله أو شىء من تلقاء نفسك؟ فقال يا أعرابية: بل هو من عند الله المنزل فقالت كل عضو من أعضائى يعذب على باب منها؟ قال يا أعرابية.. بل لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب أهل كل باب على قدر أعمالهم. فقالت: والله إنّى امرأة مسكينة لا مال لى، ولا لى إلا سبعة أعبد أشهدك يارسول الله أن كل عبد منهم على باب من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى، فأتاه جبريل عليه السلام فقال يارسول الله: بشر الأعرابية أن الله قد غفر لها وحرم عليها أبواب جهنم وفتح لها أبواب الجنة كلها»[2].

يقول الله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

الباب الأول: اسمه **جهنم** لأنه يتجهم فى وجوه الخلق وهو أهون عذاباً من غيره.

الباب الثانى: يقال له **لظى نزاعة للشوى** «يقول أكلة اليدان والرجلان».

الباب الثالث: يقال له **سقر.** وإنما سمى سقر لأنه يأكل اللحم دون العظم.

الباب الرابع: يقال له **الحطمة** ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٥، ٦]. وهذا الباب يحطم العظام ويحرق الأفئدة.

(١) التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة للقرطبى - دار الريان - ص ٤٤٧.
(٢) التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة للقرطبى - دار الريان - ص ٤٤٨.

الباب الخامس: يقال له **الجحيم** وسمى كذلك لعظيم جمره. الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا.

الباب السادس: يقال له **السعير** وسمى كذلك لأنه يسعر بهم ولم يلطف منذ خلق فيه ثلاثمائة قصر، فى كل قصر ثلاثمائة بيت فى كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال وفيه جب الحزن ليس فى النار عذاب أشد منه إذا فتح باب الجب حزن أهل النار حزناً شديداً.

الباب السابع: يقال له **الهاوية** من وقع فيه لم يخرج منه أبداً وفيه بئر الهبهاب إذا فتح الهبهاب يخرج منه نار تستعيذ منه النار[١].

وعن أبى هريرة قال فى مسنده قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم».

وروى الأئمة: عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب أكل بعض بعضاً فجعل لها نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف، بأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها، وأشد ما تجدون من الحر من سمومها»[٢].

* * *

الشفاعة يوم القيامة تنقسم إلى قسمين: شفاعة منفية تماماً لا حقيقة لها ولا واقع مثل شفاعة الآلهة التى عبدت من دون الله والشفاعة بدون إذن الله تعالى. وشفاعة ثابتة واقعة لها حقيقة ووجود مثل شفاعة النبى ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين من عباد الله.

وقد ذكرنا أن الشفاعة مقيدة بقيود ثلاثة فلا تتم الشفاعة إلا بها.

وذكرنا من أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ - وعلمنا من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

---

(١) التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة للقرطبى - دار الريان - ص٤٤٨.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

الطريق إلى الجنة يتكون بين أربع كلمات: اثنتان سالبتان واثنتان موجبتان: فالسالبتان: الشرك والمعاصى، والموجبتان: الإيمان والعمل الصالح.

وذكرنا أن ريح الجنة نوعان: ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا يدركه العباد وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان، كما تشم روائح الأزهار وغيرها وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة.

وذكرنا أن دخول الجنة سيكون قطعاً فى فترات متتالية. وقد يبعد ما بين الفترة والأخرى، ويدخلون الجنة على هيئة آدم عليه السلام ستون ذراعاً فى السماء وتستقبل الملائكة وفود الرحمن عند دخولهم إلى دار السلام.

أعد الله لعباده فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أعد القصور المبنية بالذهب والفضة وحور العين والرحيق المختوم وما شابه ذلك.

وذكرنا أن دار البوار هى النار وهى عبارة عن عالم الشقاء ذات دركات دركة تحت الأخرى إلى نهايتها وهى سبع تتفاوت فى شدة عذابها أخفها عذاباً أعلاها وأشدها أسفلها ولكل دركة اسمها الخاص بها.

يوم القيامة يحدث انقلاب كونى حيث تتبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات غير السموات ويبرز للناس فيه للواحد القهار ويفاجأ الإنسان بالنار يوم القيامة وقد برزت، حيث يجاء بها تجر بالأزمة ويسمع لها تغيظ.

وأعلم أن طعام أهل النار يقف فى الحلقوم لا ينزل ولا يخرج ولا طعام لهم ها هنا فى النار إلا من غسلين وهو شر طعام أهل النار.

وتذكر أن لجهنم سبعة أبواب.. أولها باب جهنم لأنه يتجهم فى وجوه الخلق وهو أهون عذاباً من غيره، والثانى يقال له لظى، والثالث سقر لأنه يأكل اللحم دون العظم، والرابع الحطمة وهذا يحطم العظام، والخامس الجحيم وهذا فيه الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا، والباب السادس يقال له السعير، والباب السابع يقال له الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً.

* * *

ابتهـال

يارب عبدك عند بابك واقف يدعوك دعوة من يخاف ويطمع
فإذا خشيت فقد عصيتك جاهلاً وإذا رجوت فإن عفوك أوسع
يارب إن أك فى الحقوق مفرطاً فلأنت أبصر بالقلوب وأسمع
بين الجوانح خافق يهوى التقى ويضيق كرهاً بالذنوب ويجزع
ويحب ذكرك والقلوب إذا خلت من ذكر ربى فهى بور بلقع
ولكم ذكرتك خالياً فوجدتنى والقلب فى وجل، وعينى تدمع
هل لى رجاء اننى ممن دعوا يوما إليك وقال: توبوا وارجعوا؟!
وحملت مصباح الهداية مرشداً أهناك كالقرآن نور يسطع؟!
ومشيت فى ركب الهداة وإن أكن أبطأت فى طلب الكمال وأسرعوا!
حسبى أحبهم وأقفوا خطوهم ولكن أرى حب الأكابر يشفع

* * *

يارب ما لى غير بابك مفزع آوى إليه إذ يعز المفزع
ما لى سوى دمعى إليك وسيلة وضراعتى، ولمن سواك سأضرع؟!
إن لم أقف بالباب راجى رحمة فلآى باب غير بابك أقرع؟!
إن لم يكن منى الذنوب ومنك أن تعفو فأين اسم العفو الملمع؟!
أين الغفور؟ وأين رحمته التى وسعت جميع الخلق؟ أين الموسع؟!
هذا آوان العفو فاعف تفضلا يامن له تعنو الوجوه وتخشع![1].

والحمد لله رب العالمين

(١) شعر دكتور/ يوسف القرضاوى
منقول من نفحات ولفحات ص٨٧: ٨٨ - طبعة دار الصحوة - الطبعة الثانية.

المراجع



المراجـــع

١ - الحافظ ابن حجر: **فتح البارى** . دار الفكر . د.ت.

٢ - ابن القيم، أبى عبد الله محمد بن بكر والملقب بشمس الدين والمعروف بابن القيم الجوزية: **الروح**. القاهرة. دار إحياء الكتب العربية. د.ت.

٣ - ابن القيم، أبى عبد الله محمد بن بكر . **حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح**. القاهرة. دار إحياء الكتب العربية.

٤ - ابن كثير، إسماعيل الدمشقى: **البداية والنهاية**. النور الإسلامية.

٥ - ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقى: **تفسير القرآن العظيم**. المنصورة. دار الوفاء.

٦ - الألبانى، محمد نصر الدين: **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**. المكتب الإسلامى.

٧ - التلمسانى، عمر عبد الفتاح: **شهيد المحراب**. القاهرة. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٨ - الجزائرى، أبو بكر جابر: **عقيدة المؤمن**. المكتب الثقافى.

٩ - خالد محمد خالد: **رجال حول الرسول**. القاهرة. دار الريان للتراث د.ت.

١٠ - سابق، السيد سابق: **فقه السنة**. القاهرة. الفتح للإعلام العربى ١٤١٢هـ.

١١ - عفيفى، طه عبد الله: **وصايا الرسول**. القاهرة . دار الاعتصام.

١٢ - الغزالى، أبو حامد: **إحياء علوم الدين**، القاهرة، دار الريان للتراث. ١٤٠٧هـ.

١٣ - القرضاوى، يوسف: **نفخات ونفحات**. القاهرة. دار الصحوة. ١٤٠٥هـ.

١٤ - القرطبى، أبو عبد الله الأنصارى: **التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة**. القاهرة. دار الريان للتراث. ١٤١١هـ.

١٥ - القرطبى، أبو عبد الله الأنصارى: **الجامع لأحكام القرآن**. دار الكتب. الطبعة الثانية. ١٩٨٦م.

١٦ - قطب، سيد: **فى ظلال القرآن**. القاهرة. دار الشروق. ١٤١٠هـ.

١٧ - الكاندهلوى، محمد يوسف: **حياة الصحابة**. بيروت. لبنان. دار المعرفة. ١٤٠٦هـ.

١٨ - النووى، الإمام أبى الحسين مسلم بن حجاج القشيرى النيسابورى: **شرح مسلم**. مكتبة زهران.

١٩ - وزارة الأوقاف: **المنتخب فى تفسير القرآن**. الطبعة الخامسة عشر.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول

ذكر الموت وسكراته والاحتضار

الفصل الثانى

مع الرسول الكريم وصحابته فى وفاتهم

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الخامس

الشفاعة والخلد وجهنم

رقم الإيداع ١٥٣٥٧ / ١٩٩٩
I. S. B. N
977 - 294 - 166 - x